

فى القرن الخامس عشر / هـ

(الواقع العملى للقرآن)

اتخذوا هذا القرآن مهجورا

ن محمد

توزيع
دار التوبة للإعلام الإسلامى

اهداءات ١٩٩٨
مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع
القاهرة

صلاح القرآن للبشر

في القرن الخامس عشر /هـ

(الواقع العملي للقرآن)

تأليف

ابى شهيل منصور بن محمد

توزيع

دار التوبة للإعلام الإسلامى

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ

إليك شكرى مع فقرى يامن علمتنى فذدنى علماً وفهمتنى فزدنى فهماً لك الشكر الجزيل يامن رزقتنا خير التنزيل شكراً إليك إلهى.

ثم شكرى لهؤلاء

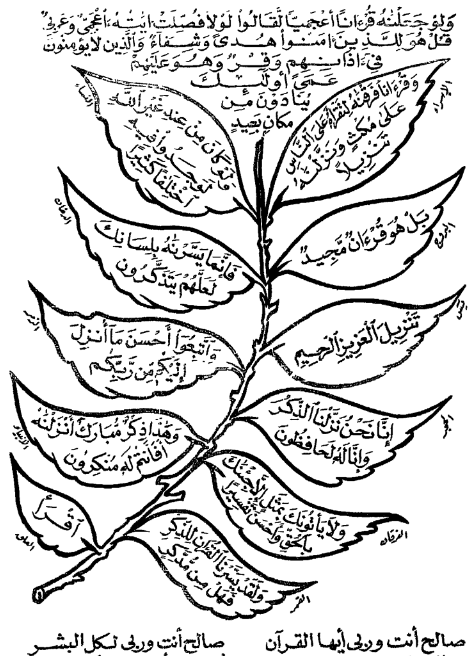
إلى كل من سألتهم فأجابونى إلى من ساهموا وأعانونى على نشر وإخراج هذا الكتاب إلى كل من لم يذكر اسمه معى من علماء أجلاء إلى كل من دعانى إلى كتاباً سواء مرجعاً أو فيه إفادة بكل الحب اهدى دعائى خالصاً لله إلى كل ساهر يفكر كيف يعبد الله وحده إلى كل من دعا إلى كتاب الله والسنة.

«اللهم اهدينا لأقرب من هذا رشدا»

تنويه

إلى الأخ القارىء

لقد ذكرت لك الآية أو الجزء من الآية مع سببه ثم جعلت فى الهامش الآية كاملة حينما لم تكن كاملة فى سببها لكى تستطيع التعرف على الآية كاملة لأن أحياناً بل غالباً يكون التنزيل كلمة أو كلمتان من آية أو أكثر من آية ثم جعلته فصول وكلما تشابه السبب جعلته فى سياق واحد فلما انقطع التشابه بين الأسباب كتبت كلمة فصل ثم جعلت الأرقام التى بداخل الكتاب على ما عرف الناس أنها باللغة الأوروبية مع العلم تعمدة ذلك لكى أحى تراثاً واظهر شيئاً وهو أن تلك الأرقام هى على الحقيقة الأصل فيها العربية وأما الأرقام التى تعودنا على انها مشهورة عندنا ونكتبها وتُدرس فى المدارس على انها عربية أنما حقيقتها هندية فأخذتها مع أن الغرب أخذوا أصل الأرقام العربية ونحن أحق بها.



صالح أنت وربي أيها القرآن — صالح أنت وربي لكل البشر

صالح لكل قرن ولكن — أحدث بك أصحاب القرن الخامس عشر "هـ"



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾

(آل عمران / 102)

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾

(النساء / 1)

﴿ يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾

(الاحزاب / 71:70)

مقدمة

إلى الأخ القارىء الكريم:

أقدم إليك كتابي هذا في سطور قليلة سائل الله جل وعلا الفائدة الكبرى جعلها الله لي ولك في ميزان الحسنات.

لقد أُنشأت فكرة هذا الكتاب بفضل الله ورحمته، حين قال لي بعض الأخوة.

ماذا تفعل في عصر كثرت فيه الأسماء[1] والأهواء وسرعان ما تأتي الشياطين في الإغواء، فيتفرق الناس إلى فرق شتى فهل من سبيل؟

قلت نعم.

لابد أولاً أن نتعرف على القرآن وناسخه ومنسوخه، أو المسمى عند البعض بتدرج الأحكام.

وكذلك الاطلاع على أسباب النزول، وبعد أن تركته كدت أبكي على ما سمعت منه.

ففكرت في مراجعة أسباب النزول لبعض الرجال الذين اجتهدوا في هذا وبدأت هنا الفكرة تتكون في رأسي إلى أن أذِن الله لها بالخروج فوجدت أنه من واجبي أن أبين بعض أسباب الآيات التي نزلت في عهد النبي ﷺ تتحدث عن حادثة من الحوادث، لأننا كما نعرف أن القرآن نزل منجماً وإني لاأختلف مع الذين قالوا: إن القرآن بعموم اللفظ لابخصوص السبب،

(1) المراد بالأسماء هذا كافر وهذا مسلم.

ولكن مع هذا البحث وجدت المشقة، لولا أن تداركنى الله برحمته فقلت فى نفسى، أكتفى بالقدر القليل من عالم التنزيل.

لكى أذكركم ونفسى بأن الوحى لازال متصلاً وإن كان العهد منفصلاً فوجدت من واجبى أن أشكر الأمين جبريل وإن الشكر الجزيل لله فأخذت منه ما هو واضح لدينا فى هذا العصر وكما قال أحد العلماء لازال القرآن ينتفض حياً [2] وأنه وجب على كل مؤمن يعيش مستشعرا بأن القرآن يتنزل عليه الآن، حتى يمكننا أن نحيا معه وأن نكون من أمة القرآن فبدأت أربط كل حادثة نزلت تتشابه مع حادثة حدثت فى مجتمعنا لكى يستشعر الأخ القارىء، كأن القرآن يتنزل الآن...!

ومن هنا يكون البحث الذى بين يديك قد أثمر ثمرته المرجوة، ومن واجبك ان وجدت خطأ أن تقومنى، وإن كنت فى سؤال فاسألنى، لكى أتعلم.

فإن كانت هناك فائدة فمن الله، وإن كان خطأ فمن نفسى والشيطان، أعاذنا الله واياكم.

واليك محتويات البحث:

تكلمت فى الفصل الأول، وبيَّنت من العلم ماهو فرض كفاية، والفصل الثانى بيَّنت ماينبغى أن يسلكه العلماء فى دعوتهم للحق، والفصل الثالث يُبين الطاعة لله والاتباع للرسول وسميته الاتباع، والفصل الذى يليه كيف يكون مخاطبة الناس على قدر عقولهم، حتى منهم من يثير الناس فيسب الله عدوا بغير علم، وألحقته بفصل وبيَّنت فيه ما أمر الله رسوله ﷺ نحو الدعوة، وسميته الامام القدوة والرسول الأسوة، ووجدت أنه لابد أن نستبين المعاملات كما علم الله رسوله، كيف يعامل الناس فألحقته بفصل

(2) سيد قطب (رحمه الله).

وسميته المعاملات، الى أن وجدت من واجبى أن أدافع عن النبى ﷺ فأهل الحق دائما بين الغالى والجافى، وسميته إن هو إلا بشر رسول.

وان كثيرا من الناس يخطئون فى معاملة الوالدين بجفوة تحت زعمهم أن الوالدين كفار، فأوضحت هذا فى ذلك الفصل الذى يليه وسميته بر الوالدين، ولو كانوا كفارا.

وكذلك تحذير المؤمنين والمؤمنات، فى الفصل الذى يليه، وما أكثر الناس، الذين يعبدون الله على حرف، فسميته نفاق فى القلب، وحب الدنيا، وكذلك الذين لايفهمون قول الله تعالى لرسوله الكريم، ويظنون أنه توبيخ من الله لرَسُولِه ولكن أضفت لهذا الفصل اسماً جديداً وسميته عتاب وتزكية، وألحقته بفصل يسمى الهُدى، ثم ألحقته بفصل يسمى القضاء والقدر، ثم وجدت من واجبى، أن نتأمل، فى الكون وفى الآيات، التى نشرها الله وسميته تأملات، وكذلك الذين نزل فيهم قرآن فى قيام الليل، وأحوالهم وما نالهم من خير ورحمة، وسميته الجزاء، ثم ألحقته بباب تحت اسم إن للمتقين مفازاً. والذى يليه المرء مع من أحب ثم فصلاً يسمى سلوكيات وأوامر، وبعده فصل يسمى آداب ثم ألحقته بسمات أهل الفجور، وقد ظهر فى مجتمعنا، الخلاف فيما يسمى بالنقاب فألحقته بفصل يسمى الأمر بالحجاب، والكثير لايفهم معنى العِدة وما يجب على المعتدة، وألحقته بفصل بعده يسمى سمات الكفار، ثم ألحقته برحمة الله ونصيحة رَسُوله وبعده فصل القذائف، ثم مغفرة الذنُوب ثم زعَم الإيمان.

وحتى لاننسى الذين باعوا أنفسهم لله، فسميته البيعة الكبرى، ولما علمت أن سبب التزام المرء هي خشية الله، فألحقته بفصل يسمى خشية الله سبب البراءة، وحتى لاننسى أمنا عائشة – رضى الله عنها – التى برأها الله من فوق السماوات السبع، وماذا يفعل أى رجل ممن يدعون الرجولة فى مثل تلك الحادثة وهذا موقف الرسول ﷺ فى حادثة الإفك وألحقته بفصل

يسمى دفاع الله. ثم البراء ثم جزاء المحاربين، ثم بيان الاضطرار، والذين يتأوّلون على القرآن، بغير علم ولابرهان فألحقته بفصل يسمى بإنذار الذريق والرد على الزنديق.

وكذلك ألقيت الضوء على أمر آخر حين يقول ربنا عز وجل (فتبينوا) فسميته البينة فى القتال ثم الولاء، ثم البراء ثم أهل العداوة، وأهل الخضوع، ولكى يصبروا أهل التقوى ويحتسبوا.

وقد قالها الله لنبيه ﷺ حتى يصّبرُوا على الشدائد فقلت لكم العبرة بالنهاية، ثم التحدث بالنعمة وغيره كفر، ثم الحسد، وبعدها، مواساة وحكم ثم رحمة الله، وأحكامه، ثم ذم البخل، ثم الإيثار، ثم ألحقته بفصل وفيه اسألكم الحاكمية لمن؟.

ثم بعد ذلك يقول النبى ﷺ «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة» ثم مسجد ضرار، ثم الشهادة فى سبيل الله ووجدت من واجبى أن أوصيكم ونفسى بما أوصى الله به وسميته من وصايا الرحمن، وألحقته بفصل يسمى مفارقة الدين براءة من المبعوث رحمة للعالمين، وكذلك لكثرة الاختلاف عن الجهل ومن لايعذر. ذكرت لكم مما ذكره الله وكأنه سؤال سميته أين العذر بالجهل ثم رزقنا الله وإياكم بهدى نبيكم، الإخلاص وسميته ماينبغى أن نكون عليه، وألحقته بالمعوذتين وما توفيقى إلا بالله.

أ - « أسباب النزول »[3]

نزل القرآن ليهدى الإنسانية إلى الحجة الواضحة ويرشدها إلى الطريق المستقيم، ويقيم لها أسس الحياة الفاضلة التى تقوم دعامتها على الإيمان بالله ورسالاته ويقرر أحوال الماضى، ووقائع الحاضر، وأخبار المستقبل، وأكثر

(3) مباحث فى علوم القرآن (مناع خليل القطان).

القرآن نزل ابتداء لهذه الأهداف العامة.

ولكن الصحابة – رضى الله عنهم – فى حياتهم مع رسول الله ﷺ قد شاهدوا أحداث السيرة، وقد يقع بينهم حادث خاص يحتاج إلى بيان شريعة حكم الله فيه.

أو يلتبس عليهم أمر فيسألون رسول الله ﷺ عنه لمعرفة حكم الإسلام فيه، فيتنزل القرآن لذلك الحادث، أو لهذا السؤال الطارىء، ومثل هذا يعرف بسبب النزول.

ب – « أسباب النزول »

– تعريف ((السبب)) :

«هو مانزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال»

« فوائد معرفة سبب النزول »

(جـ) بيان الحكمة التى دعت إلى تشريع حكم من الأحكام وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة فى علاج الحوادث رحمة بالأمة.

(د) تخصيص حكم ما – إن كان نزل بصيغة العموم – بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

(هـ) إذا كان لفظ ما نزل عاماً وورد دليل على تخصيصه فمعرفة السبب تقصر التخصيص على ماعدا صورته، ولايصح إخراجها، لأن دخول صورة السبب فى اللفظ العام قطعى، فلا يجوز

إخراجها بالاجتهاد لأنه ظن، وقد يمثل لهذا بقوله تعالى.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(النور / 23)

فإن هذه الآية نزلت فى عائشة خاصة، أو فيها وفى سائر أزواج النبى ﷺ.

عن ابن عباس: فى قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الآية نزلت فى عائشة وأزواج النبى ﷺ، ولم يجعل الله لمن فعل ذلك توبة، وجعل لمن رمى امرأة من المؤمنات من غير أزواج النبى ﷺ التوبة.

وعلى هذا فإن قبول توبة القاذف وإن كان مخصصاً لعموم لايتناول بالتخصيص من قذف عائشة، أو قذف سائر أزواج النبى ﷺ، فإن هذا لاتوبة له، لأن دخول صورة السبب فى اللفظ العام قطعى.

(و) ومعرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معانى القرآن، وكشف الغموض الذى يكتنف بعض الآيات فى تفسيرها مالم يعرف سبب نزولها.

(ز) ويوضح سبب النزول من نزلت فيه الآية لاتحمل على غيره بدافع الخصومة والتحامل.(4)

---

(4) مباحث فى علوم القرآن (مناع خليل القطان) المرجع السابق.

- فصل -

العلم فرض كفاية

سبب: قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾

(التوبة / 122)

قال ابن عباس :

فى رواية الكلبى.

لما أنزل الله تعالى عيوب المنافقين لتخلفهم عن الجهاد قال المؤمنون والله لانتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله ﷺ ولاسَرية أبداً.

فلما أمر رسول الله ﷺ بالسرايا إلى العدو نفر المسلمون جميعاً وتركوا رسول الله ﷺ وحده بالمدينة فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أ.هـ

أقول :

هذه فائدة لكل من هدى الله، نجاهد بأقلامنا وبألسنتنا وبسيوفنا كلٌ بحسب مقدرته وقدرته كل على قلب رجل واحد على قلب النبى ﷺ وحزبه.

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

(المائدة / 56)

فكل يسعى بما علمه الله وهداه إليه.[5]

- فصل -

سلوك العلماء

سبب قوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَـٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّنَ ﴾

(آل عمران / 79)[6]

نزلت فى نصارى نجران حين عبدوا عيسى وقوله (لبشر) يعنى عيسى، وقوله (أن يؤتيه الله الكتاب) يعنى الإنجيل.

وقال ابن عباس :

إن أبا رافع اليهودى والرئيس من نصارى نجران، قالا يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال رسول الله ﷺ معاذ الله أن يعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله، مابذلك بعثنى، ولا بذلك أمرنى، فأنزل الله – تعالى – هذه الآية

---

(5) الحديث:
قال رسول الله ﷺ:
[من رأى منكراً، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان]
رواه مسلم، صحيح مسلم جـ1، ص 39.

(6) قوله تعالى ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ (آل عمران/79).

أقول :

ولو نظرنا فى مجتمعنا لوجدناها فى أرباب الطرق الذين يقبلون أيدى مشايخهم ويضعوا لهم النقود تحت سجاجيدهم، بل وينذرون ويذبحون عند قبورهم الذبائح، وأين هم من هذا النص الحكيم".

ويحضرنى قول النبى ﷺ.

«لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله» [7] عن جابر.

وقد سمعت من يؤذن ويقول فى الآذان وأشهدُ أن سيدنا محمداً رسول الله. وهذه تأملات إلى العاقل اللبيب من أصحاب الجماعات المنتسبة زعماً إلى الإسلام ممن يغالون فى أمرائهم ومشايخهم وأذكرهم بقوله تعالى

﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعضُنَا بَعضاً أَربَاباً ﴾

(آل عمران / 64) [8]

سبب قوله تعالى :

﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ

---

(7) أخرجه البخارى ومسلم عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - أنه قال: «اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد، وأبو بكر يُسمع الناس تكبيره فالتفت إلينا فرأنا قياماً. فأشار فقعدنا فصلينا بصلاته قعوداً. فلما سلم. قال: إن كدتم انفاً تفعلون فعل فارس والروم: يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا أئتموا بأئمتكم، إن صلى قائماً فصلوا قياماً. وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً» وأظن فى غير رواية أبى داود «ولاتعظمونى كما يعظم الأعاجم بعضهابعضاً». والرواية الأولى عن جابر رواه مسلم وأبو داود فى حديث الليث عن أبى الزبير. أ.هـ. كلام الامام ابن تيمية كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ص66.

(8) قوله تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (آل عمران/ 64).

﴿ وَأُوْلِى الأَمرِ مَنكُم فَإِن تَنَٰزَعتُم فِى شَىءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَخِرِ ذَٰلِكَ خَيرٌ وَأَحسَنُ تَأوِيلاً ﴾

(النساء / 59)

قال ابن عباس:

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فى سَريةَ إلى حيّ من أحياء العرب وكان معه عمار بن ياسر - رضى الله عنه -

فصار خالد حتى إذا دنى من القوم عرش لكى يصحبهم فأتاهم النذير فهربوا عن رجل قد كان أسلم.

فأمر أهله أن يتأهبوا للمسير، ثم انطلق حتى أتى عسكر خالد ودخل على عمار فقال:

يا أبا اليقظان إنى منكم، وإن قومى لما سمعوا بكم هربوا وأقمت لإسلامى أفنافعى ذلك أو أهرب كما هرب قومى؟ فقال:

أقم فإن ذلك نافعك وانصرف الرجل إلى أهله وأمرهم بالمقام.

وأصبح خالد فغار على القوم، فلم يجد غير ذلك الرجل، فأخذه وأخذ ماله، فأتاه عمار فقال:

خل سبيل الرجل فإنه مسلم، وقد كنت أمنته وأمرته بالمقام، فقال خالد:

أنت تجير عليّ وأنا الأمير فقال نعم، أنا أُجير عليك وأنت الأمير، فكان فى ذلك بينهما كلام فانصرفوا الى النبى ﷺ فأخبروه خبر الرجل، فأمنه النبى ﷺ وأجاز أمان عمار ونهاه أن يُجير بعد ذلك على أمير بغير إذنه قال: واستب عمار وخالد بين يدى رسول الله ﷺ فأغلظ عمار لخالد

فغضب خالد وقال: يارسول الله أتدع هذا العبد يشتمني، فوالله لولا أنت ما شتمني وكان عمار مولى لهاشم بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ ياخالد كف عن عمار فإنه من يسبب عماراً يسبه الله ومن يبغض عماراً يبغضه الله.

فقام عمار فتبعه خالد فأخذ بثوبه وسأله أن يرضى عنه فرضى عنه، فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمر بطاعة أولى الأمر.

﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمرِ مِنكُم فإِن تَنَـٰزَعتُم فِى شَىءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ والرَّسُولِ إِن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَخِرِ ذَٰلِكَ خَيرٌ وَأَحسَنُ تَأوِيلاً ﴾

(النساء / 59)

أقول :

ويالها من عبرة، وعظة ليتقى الله كلّ منا، آمرا ومأموراً.

كان أميراً أو خفيراً.

فإنه من تواضع لله رفعه، وهذا مع أهل التقوى الذين هواهُم تبع إلى هدى نبيهم ﷺ والذين استقاموا كما أمروا......

فرضى الله عنهم ورضوا عنه.

لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ استَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيهِمُ المَلَئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَاتَحزَنُواْ وأَبشِرُواْ بِالجَنَّةِ الَّتِى كُنتُم تُوعَدُونَ ﴾

(فصلت / 30)

سبب قوله تعالى :

﴿ قُل إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحبِبكُمُ اللَّهُ وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(آل عمران / 31)

زعم قوم على عهد الرسول ﷺ أنهم يحبون الله، فقالوا يامحمد، إنا نحب ربنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وعن ابن عباس قال:

وقف النبى ﷺ على قريش وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا بيض النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف [9] وهم يسجدون لها.

فقال يامعشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل ولقد كان على الإسلام فقالت قريش : يامحمد إننا نعبد هذا حباً لله ليقربونا إلى الله زلفى فأنزل الله تعالى هذه الآية

﴿ قُل إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحبِبكُمُ اللَّهُ وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران / 31)

---

(9) الشنف الذى يُلبس فى أعلى الأذن بفتح الشين. والذى فى أسفلها القُرط وقيل الشنف والقُرط سواء (من لسان العرب جـ3 ص2341).

قال :

إن كنتم تحبون الله، وتعبدون الأصنام لتقربكم إليه، فاتبعوني يحببكم الله، فأنا رسوله إليكم، وحجته إليكم، وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم.

وعن ابن عباس :

أن اليهود لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أنزل الله تعالى هذه الآية، فلما نزلت الآية عرضها الرسول ﷺ على اليهود فأبوا أن يقبلوها.

أقول :

في واقعنا المعاصر، لو نظرنا في مثل هذا لأدعياء الإسلام في مجتمعنا، وأمثال أصحاب الطرق، من الزنادقة، وأشياعهم، لقلنا لهم كما قال الله - تعالى - في هؤلاء المشركين، النبي ﷺ أولى بالتعظيم.

- فصل -
مخاطبة الناس على قدر العقول

سبب: قوله تعالى :

﴿ وَلَاتَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾

(الانعام / 108)

قال ابن عباس :

في رواية الوالبي قالوا : يا محمد، لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون

ربك، فنهى الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدواً بغير علم، وقال قتادة:

كان المسلمون يسبون أوثان الكفار، فيردون عليهم فنهاهم الله تعالى أن يستسبوا لربهم قوما جهلة لاعلم لهم بالله.

وقال السدى :

لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش :

انطلقوا فندخل على هذا الرجل، فلنأمرنه أن ينهى عنا ابن أخيه، فإنا نستحى أن نقتله بعد موته، فتقول العرب، كان يمنعه فلما مات قتلوه، فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبى ابنا خلف وعقبة ابن أبى معيط وعمرو بن العاص والأسود بن البخترى إلى أبى طالب فقالوا:

أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإلهه فدعاه فجاء النبى ﷺ فقال له أبو طالب:

هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله ﷺ ماذا تريدون؟ فقالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك، فقال أبو طالب: قد أنصفك قومك فأقبل منهم فقال رسول الله ﷺ : أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطى كلمة، إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم قال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها فما هى قال : قولوا لا إله إلا الله.

فأبوا وأشمأزوا، فقال أبو طالب :

قل غيرها يا ابن أخى فإن قومك قد فزعوا منها، فقال يا عم ما أنا بالذى أقول غيرها، ولو أتونى بالشمس فوضعوها فى يدى ماقلت غيرها فقالوا :

لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك ونشتم من يأمرك فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أ.هـ

أقول :

وهذا فى وقت الاستضعاف ما أحلمك ربى على هؤلاء.

فإنها سنتك، وأردت ذلك وهى حكمتك، فالأمر أمرك، والحكم حكمك، فإنها والله السنن!!.

أصبح المسلمون الآن مستضعفين[10] وشهدت فى هذا العصر الملىء بالطواغيت :

إنهم كانوا يسبون الله تعالى ووضعوا كتاب الله تحت أقدامهم وكان منهم من هو يقود من ينتسب إلى الإسلام إلى فناء السجون ويسبوا الله تعالى على ملأ.

إلى أن مات أحدهم فى سيارته بعد أن إصطدم بسيارة تحمل الحديد ودخلت فى أحشائه وَقُطع بعد أن سب الله تعالى.

مما يحكى أنهم لما ذهبوا ليصلوا عليه فى المسجد أبى النعش الدخول ولكن على الحقيقة أبى الله تعالى، كذلك سمعت ممن ينتسبون بزعماء البلاد أنه :

سب الله تعالى وقال :

لو جاءنى ربكم لوضعته هاهنا نعم إنها السنن!!.

ولكن هيهات .... هيهات.

إن أخذ الله أخذ عزيز مقتدر.

(10) قوله تعالى ﴿واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾ (الانفال/26).

﴿ وَكَم أَهلَكنَا قَبلَهُم مِّن قَرنٍ هَل تُحِسُّ مِنهُم مِّن أَحَدٍ أَو تَسمَعُ لَهُم رِكزًا ﴾

(مريم / 98)

- فصل -

مهمة الداعية

سبب قوله تعالى

﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ مَآ أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَايَهدِى القَومَ الكَافِرِينَ ﴾

(المائدة / 67)

قال الحسن: إن النبى ﷺ قال:

«لما بعثنى الله تعالى برسالتى ضِقتُ بها ذرعاً وعرفت أن من الناس من يكذبنى»

وكان رسول الله ﷺ يهيب قريشاً واليهود والنصارى فأنزل الله تعالى هذه الآية.

عن أبى سعيد الخدرى قال :

نزلت هذه الآية يوم غديرخم فى على بن أبى طالب - رضى الله عنه.

أ.هـ

أقول :

هذه نصيحة لكل داع يدعو إلى الله وإن كان نبيكم أولى بها ﷺ.

فجاهدوا فى الله حق جهاده ياعلماء المسلمين، ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون.

لاتداهنوا السلاطين فتهدموا الدين ويضل الراعى، ويصبح الحليم حيران وهذه من المصائب التى قد ابتلينا بها فى عصرنا ولاتنكر أن هناك من يجاهد فى الله.

(رحمة الله) على سعيد بن جبير : هو سعيد بن جبير الأسدى الوالى من أكابر أصحاب ابن عباس - رضى الله عنهما - كان من أئمة الإسلام فى التفسير والفقه وأنواع العلوم وكثرة العمل الصالح.

مات (رحمه الله) سنة (95هـ) وله من العمر (74) سنة.

انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ9 ص 88-99

موقف سعيد بن جبير مع الحجاج (11)

كان سعيد بن جبير (رحمه الله) معروفاً بشدة الورع والتقوى وقد أوتى لساناً ناطقاً بالحق، وقلباً حافظاً للعلم؟ وسرعة بديهة بالقاء الحجة القوية فى وجه الخصم؟ وكان الحجاج معروفاً بالفسق والتعدى على حرمات الناس

---

(11) من كتاب الموالاة المجلد الأول ص115,116 وواجع السنن والمبتدعات لمحمد عبد السلام خضر الشقيرى.

فى أنفسهم وأموالهم؟ فخاف من وجود سعيد بن جبير بين الرعية نظراً لحبها له وثقتها به فقرر التخلص منه بالترغيب والترهيب فقد حُمِلَ سعيد بن جبير إلى الحجاج ولما دخل عليه سأله الحجاج عدة أسئلة كلها سخرية وتبكيت واستهزاء فرد عليه سعيد رداً مفحماً.

ثم أمر الحجاج بطبق مملوء باللؤلؤ، والزبرجد، والياقوت فجمعه بين يده لعل ذلك يغرى سعيد بن جبير فيكون ثمنا لصمته وسكوته؟ ولكن سعيدا أدرك الهدف من ذلك وقال الحجاج:

إن كنت جمعت هذا لتتقى به فزع يوم القيامة فصالح وإلا ففزعة واحدة. تذهل كل مرضعة عما أرضعت ولاخير فى شىء للدنيا إلا ما طاب وزكا. (12)

فلم ينفع هذا الاغراء بالمال والذهب، فليس ابن جبير من عباد المال، ولامن الذين يبيعون دينهم بدنياهم؟ ولذلك ضاق الحجاج ذرعاً بسعيد فقال له: اختر ياسعيد أى قتلة أقتلك؟ فقال سعيد: اختر انت لنفسك فوالله لاتقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة؟ أتريد أن أعفو عنك؟ فقال: إن كان العفو فمن الله فأما منك براءة لك ولاعذر، فأمر به الحجاج فذبح من الوريد إلى الوريد، ولسانه رطب بذكر الله (13) رحمة الله على سعيد بين جبير.

(12) انظر الإسلام بين العلماء والحكام ص141 البدرى.

(13) نفس المصدر السابق ص138:143

- فصل -

الامام القدوة والرسول الأسوة

سبب: قوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(آل عمران / 68)

وسأل اليهود وقالوا:

يامحمد لقد علمت إنا أولى بدين إبراهيم منك ومن غيرك وإنه كان يهوديا ومابك إلا الحسد، فأنزل الله هذه الآية.

وروى أيضا عن عبد الرحمن بن غنم عن أصحاب رسول الله ﷺ لما هاجر جعفر ابن أبى طالب وأصحابه إلى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان من أمر بدر ماكان اجتمعت قريش فى دار الندوة وقالوا إن لنا فى أصحاب محمد الذين عند النجاشى ثأراً بمن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالاً واهدوه إلى النجاشى لعله يدفع إليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلا من ذوى آرائكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن أبى معيط مع الهدايا الأدم [14] وغيره فركبا البحر وأتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشى سجدا له وسلما عليه وقالا له إن قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون وأنهم بعثونا إليك لنحذرك.

هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم

(14) الأدم : الجلد.

أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منا إلا السفهاء وكنا قد ضيقنا عليهم الأمر وألجأناهم إلى شعب بأرضنا لايدخل عليهم أحد ولايخرج منهم أحد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الأمر بعث إليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيكهم، قالوا وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولايحيونك بالتحية التى يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال: فدعاهم النجاشى فلما حضر وأصاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله فقال النجاشى مروا هذا الصائح فليعد كلامه، ففعل جعفر قال النجاشى: نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص إلى صاحبه فقال ألا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما أجابهم النجاشى فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص ألا ترى أنهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقال لهم النجاشى مايمنعكم أن تسجدوا لى، وتحيونى بالتحية التى يحيينى بها من أتانى من الآفاق قالوا نسجد لله الذى خلقك وملكك وإنما كانت التحية لنا ونحن نعبد الأوثان فبعث الله فينا نبياً صادقاً وأمّرنا بالتحية التى نعتها الله لنا وهى السلام تحية أهل الجنة فعرف النجاشى أن ذلك حق وأنه فى التوراة والانجيل:

قال أيكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله قال جعفر أنا قال فتكلم قال إنك ملك من ملوك أهل الأرض ومن أهل الكتاب ولايصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وأنا أحب أن أجيب عن أصحابى فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما وليسكت الآخر فتسمع محاورتنا.

فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشى سل هذا الرجل أعبيد نحن أم أحرار فإن كنا عبيداً أبقنا من أربابنا فارددنا إليهم.

فقال النجاشى :

أعبيد هم أم أحرار، فقال بل أحرار كرام.

فقال النجاشى :

خرجتم من العبودية، قال جعفر سلهما هل أهرقنا دماً بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة، قال جعفر سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها؟

قال النجاشى :

ياعمرو إن كان قنطاراً فعلى قضاؤه، فقال عمرو لا ولا قيراط.

قال النجاشى فما تطلبون منهم؟

قال عمرو: كنا وهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره ولزمنا نحن فبعثنا إليك قومهم، لتدفعهم الينا.

فقال النجاشى: ما هذا الدين الذى كنتم عليه والدين الذى اتبعتموه اصدقنى؟

قال جعفر :

أما الذى كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وأمره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة وأما الذى تحولنا إليه فدين الله الإسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشى: ياجعفر لقد تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر النجاشى فضرب بالناقوس فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده. قال النجاشى: أنشدكم الله الذى أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبياً مرسلاً.

فقالوا:

اللهم نعم قد بشرنا به عيسى، وقال من آمن به فقد آمن بى، ومن كفر به فقد كفر بى.

فقال النجاشى لجعفر:

ماذا يقول لكم هذا الرجل ويأمركم به وما ينهاكم عنه؟

قال يقرأ علينا كتاب الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له، فقال:

اقرأ علينا شيئا مما كان يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشى وأصحابه من الدمع وقالوا :

ياجعفر زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فأراد عمرو أن يغضب النجاشى فقال إنهم يشتمون عيسى وأمه.

فقال النجاشى : مايقولون فى عيسى وأمه؟

فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشى بقية من سواك قدر مايقذى العين وقال والله مازاد المسيح على ماتقولون، هذا ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فأنتم شيوم [15] بأرض يقول أمنون من سبكم أو آذاكم عزم ثم قال أبشروا ولا تخافوا ولا دهورة [16] اليوم على حزب إبراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذى جاؤا من عنده ومن اتبعهم فأنكر ذلك المشركون وادعوا دين إبراهيم ثم رد النجاشى على عمرو وصاحبه المال الذى حملوه وقال إنما هديتكم إلى رشوة فاقبضوها فإن الله ملكنى ولم يأخذ منى رشوة قال جعفر:

وانصرفنا فكنا فى خير دار وأكرم جوار وأنزل الله عز وجل ذلك اليوم

---

(15) شيوم : آمنون.

(16) دهورة : اعتداء.

فى خصومتهم فى إبراهيم على رسوله ﷺ وهو بالمدينة قوله : ﴿هذا النبى﴾ يعنى محمداً ﷺ.

- فصل -

المعاملات

سبب قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

(المجادلة / 8)

عن عائشة قالت:

جاء ناس من اليهود إلى النبى ﷺ فقالوا:

السام عليك فقلت:

السام عليكم وفعل الله بكم فقال رسول الله ﷺ مه ياعائشة «فإن الله تعالى لايحب الفحش والتفحش». (17)

فقلت:

يارسول الله تدرى مايقولون قال:

ألست ترين أرد عليهم مايقولون أقول وعليكم.

---

(17) صحيح المسند لمصطفى بن العدوى أحمد ص214 حديث رقم [365]

عن أنس :

أن يهودياً أتى النبى ﷺ فقال: السام عليك فرد القوم فقال نبى الله ﷺ :

هل تدرون ما قال قالوا :

الله ورسوله أعلم يانبى الله.

قال: لا ولكن قال كذا وكذا ردوه عليه فردوه عليه فقال: قلت السام عليكم قال نعم فقال نبى الله ﷺ عند ذلك إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك أى عليك ماقلت..

ونزل قوله تعالى.

أقول :

قول النبى ﷺ.

[إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم].

هذا إذا قالوا السلام غير واضح، بحيث يشتمل ويظن أنهم قالوا السام أما إذا قالوا السلام عليكم بلفظ صريح فإنك تقول عليكم السلام.

لقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحسَنَ مِنهَآ أَو رُدُّوهَآ ﴾
(النساء / 86)

وهذا هو مقتضى العدل وأما أمر الرسول ﷺ إذ قال لكم [إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم][18] فقد بين النبى ﷺ فى حديث

(18) رياض الصالحين من 400 باب تحريم بدء الكافر بالسلام (متفق عليه).

...عمر قال : إن أهل الكتاب يقولون السام عليكم. [19]

فإذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم].

فبين الرسول ﷺ علة هذا الحكم.

فإذا سلموا علينا بلفظ صريح نرد عليهم بلفظ صريح.

وإذا هناؤنا بشىء نرد عليهم التهنئة، لكن تهنئتهم بشعائر دينهم محرمة بكل حال، ولأن تهنئتهم بشعائر الكفر معناها الرضى بهذه الشعائر لهم وأذكرهم بقوله تعالى.

﴿ وَلَتَسمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَٰبَ مِن قَبلِكُم وَمِنَ الَّذِينَ أَشرَكُوٓاْ أَذىً كَثِيراً وَإِن تَصبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِن عَزمِ الأُمُورِ ﴾

(آل عمران / 186)

(19) قال الأمام البخارى (فتح البارى جـ8 ص230)
إن أسامة بن زيد رضى الله عنهما. أن رسول الله ﷺ ركب على حمار قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعاود سعد بن الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبى ابن سلول وذلك قبل أن يسلم عيد الله ابن أبى فإذا فى المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين وفى مجلس عبد الله بن رواحة فما غشيت المجلس عجاجة الدابة (1) خمر عبد الله أبن أبى أنفه بردائه ثم قال لاتغيروا علينا فسلم الرسول ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله. أ.هـ.

(1) عجابة الدابة : غبار الدابة.

- فصل -

إن هو إلا بشرٌ رسول

سبب قوله تعالى:

﴿ وَلَقَد أَرسَلنَا رُسُلاً مِّن قَبلِكَ وَجَعَلنَا لَهُم أَزوَاجاً وَذُرِّيَّةً ﴾

(الرعد / 38)[20]

قال الكلبي عَيَرت اليهود رسول الله ﷺ وقالت: مانرى لهذا الرجل مهمة إلا النساء والنكاح ولو كان نبياً كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء.

فأنزل الله هذه الآية

﴿ وَلَقَد أَرسَلنَا رُسُلاً مِّن قَبلِكَ وَجَعَلنَا لَهُم أَزوَاجاً وَذُرِّيَّةً ﴾

(الرعد / 38)

أقول:

فائدة إن أصحاب القوانين الوضعية هؤلاء حلفاؤهم الذين سخروا من النبى وهؤلاء سخروا من قوانين النبى حتى آلت بهم الجرأة ويمنعون تعدد الزوجات ولو لمسوا داعياً معه أكثر من زوجة لانهالوا عليه لينالوا منه ماقيل فى حق الرسول ﷺ وهاهى الحفدة ولكن!!

(20) قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب﴾. (الرعد/38)

صبراً صبراً فإن لنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

سبب قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم / 4)

عن عائشة قالت :

ماكان أحد أحسن خُلقاً من رسول الله ﷺ مادعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال له لبيك ولذلك أنزل الله عز وجل الآية.

أ.هـ.

- فصل -

بر الوالدين ولو كانوا كفاراً

سبب قوله تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسناً وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾

(العنكبوت / 8)

قال المفسرون:

نزلت فى سعد بن أبى وقاص وذلك لأنه لما أسلم قالت له أمه جميلة: ياسعد بلغنى أنك صبوت فوالله لايظلنى سقف بيت من الضح[21] والريح؟ ولاآكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد وترجع إلى ماكنت عليه

(21) الضح : من الشمس.

وكان أحب ولدها إليها فأبى سعد فصبرت هى ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل بظل حتى خشى عليها فأتى سعد النبى ﷺ وشكى ذلك إليه.

وأنزل الله تعالى هذه الآية، والتى فى لقمان والأحقاف.[22]

عن أبى عثمان النهدى أن سعد بن مالك قال :

كنت رجلاً باراً بأمى فلما أسلمت قالت :

ياسعد ماهذا الدين الذى قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتُعَيَّر فيقال ياقاتل أمه قلت: لاتفعلى يا أماه فإنى لا أدع دينى هذا لشىء قال: فمكثت يوماً لاتأكل فأصبحت قد جهدت قال: فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ماتركت دينى هذا لشىء إن شئت فكلى وإن شئت فلا تأكلى فلما رأت ذلك أكلت فنزلت هذه الآية (العنكبوت / 8).

أقول:

هذا هو الرفق فى الأمور، على مسارها تسير، لن يكون شىء أحب إليك أيها المسلم من الله ورسوله تذكر وكأن القرآن يتنزل علينا الساعة الآباء تأبى، والأمهات يصرخن فى أولادهن لاترتدى يا ابنتى هذا الزى، حتى لايضعوا اسمك مع كذا وكذا.

لاتطلق لحيتك، فأرباب اللحى مشبوهون وهكذا.. وهكذا.

[لاطاعة لبشر فى معصية الله][23]

(22) قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون﴾. (العنكبوت/8).

(23) «لاطاعة لبشر فى معصية الله إنما الطاعة فى المعروف». اخرجه البخارى.

ياهذه الدنيا أفيقى واشهدى أنه بغير محمد لانقتدى.

- فصل -

تحذير المؤمنين والمؤمنات

سبب قوله تعالى :

﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾

(التغابن / 14) [24]

قال ابن عباس:

كان الرجل يُسلْم فإذا أراد أن يهاجر منعه أهله وولده وقالوا:

ننشدك الله أن تذهب فتدع أهلك وعشيرتك وتصير إلى المدينة بلا أهل ولا مال فمنهم من يرق لهم ويقيم ولا يهاجر فأنزل الله هذه الآية.

عن إسماعيل بن أبى خالد قال :

كان الرجل يُسلْم فيلومه أهله وبنوه فنزلت هذه الآية.

قال عكرمة عن ابن عباس:

وهؤلاء الذين منعهم أهلهم عن الهجرة لما هاجروا ورأوا الناس قد فُقهوا

(24) قوله تعالى: ﴿يأيها الذين ءامنوا إن من ازواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ (التغابن/14).

فى الذين هموا أن يعاقبوا أهليهم الذين منعوهم فأنزل الله هذه الآية:

﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

أ.هـ

أقول:

فى واقعنا المعاصر ترى الكثير ممن يعلمون الإسلام ويعرفون الحق يقولون لأنفسهم ولمن يدعوهم هل أفارق زوجى؟

ومنهم من يقول أنه أمر صعب عليه ترك هويته فبعد معرفته الحق يصبح معاندا خائفا على رفاقه فى الجاهلية.(25)

– فصل –

حب الدنيا سبب الكفر

سبب قوله تعالى :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

(الحج / 11).

قال المفسرون :

نزلت فى أعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة مهاجرين

---

(25) المراد جاهلية اليوم وما فيها من مرارة أشد من الجاهلية الأولى ولنتأمل فى مجتمعاتنا اليوم التى تقول إنها متحضرة.

من باديتهم وكان أحدهم إذا قدم المدينة فإن صح بها ونتجت فرسه مهراً حسناً وولدت امرأته غلاماً، وكثر ماله، وماشيته آمن به واطمأن وقال:

ما أصبت منذ دخلت فى دينى هذا إلاخيراً وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية، واجهضت رماكه، [26] وذهب ماله، وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال:

والله ما أصبت منذ كنت على دينك إلا شراً.

فينقلب عن دينه فأنزل الله تعالى هذه الآية :.

وروى عطية عن أبى سعيد الخدرى قال :

أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده وتشاءم بالإسلام فأتى النبى ﷺ فقال :

أقلنى فقال: إن الإسلام لايقال، فقال إنى لم أصب فى دينى هذا خيراً أذهب بصرى ومالى وولدى فقال: يايهودى إن الإسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب.

قال ونزلت الآية :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾

(الحج / 11)

أقول سبحان الله!!.

---

(26) رماكه : ماشيته.

إنها الآيات وربى إنها الآيات!! واضحة كل الوضوح كالشمس فى الآفاق نسمع فى ذلك العصر من يفعلون ذلك ولايخفى عن سمعكم حتى إذا سُرق نعال أحدهم فى مسجد حَرمْ على نفسه دخول المسجد.. ومنهم من صلى ولم يعرف تعاليم الإسلام بعد، فإن ضاق رزقه تركها....! وذهب يشكو ويقول عندما كنت أصلى كان قُطع عنى الرزق وبمجرد تركى للصلاة رُزقت رزقاً وفيراً...!؟

سبب قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾
(القصص / 57)

نزلت فى الحرث بن عثمان بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبى ﷺ إنا نعلم أن الذى تقوله حق ولكن..!!

يمنعنا من إتباعك أن العرب تخطفنا من أرضنا لإجماعهم على خلافنا ولاطاقة لنا بهم... فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أ.هـ

أقول: وصدق الله حين قال فى الذين قالوا:

﴿ نخش أن تصيبنا دائرة ﴾...!

والذين قالوا ﴿ لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾..!

والذين قالوا الأن: لن نقدر على روسيا وأمريكا..!! إنها السنن.. إنه القرآن.. وكأنه يَتَنَزّلْ اللحظة، وكذلك حين يقوم الداعية بصدقه فى الناس فمن الناس من يقول ﴿ نخش أن تصيبنا دائرة ﴾

إنهم يقولونها صريحة واضحة؟ وإن اختلف اللفظ القرآنى، ولكن المعنى واحد.

سبحانك ربى

ما أروع هذا القرآن!!

جبال من اللؤلؤ تتناثر على مر العصور والأزمان.

- فصل -

عتاب وتزكية

سبب قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾

(التحريم / 1)[27]

عن ابن عباس عن عمر قال:

دخل رسول الله ﷺ بأم ولده مارية فى بيت حفصة فوجدته حفصة معها فقالت:

لِمَ تُدخلها بيتى ماصنعت بى هذا من بين نسائك إلا من هوانى عليك فقال لها:

لاتذكرى هذا لعائشة هى على حرام إن قربتها قالت حفصة:

وكيف تُحرم عليك وهى جاريتك فحلف لها لايقربها وقال لها:

لاتذكريه لأحد فذكرته لعائشة فأبى أن يدخل على نسائه شهراً واعتزلهن تسعاً وعشرين ليلة فأنزل الله - تعالى - هذه الآية.

---

(27) قوله تعالى: ﴿يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم﴾.

عن عائشة قالت:

كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فدخل على حفصة بنت عمر واحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فعرفت فسألت عن ذلك فقيل لى:

أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت منه النبى ﷺ شربة قلت:

أما والله لنحتال له فقُلت لسودة بنت زمعة:

إنه سيدنو منك إذا دخل عليك فقولى له يارسول الله أكلت مغافير فإنه سيقول لك سقتنى حفصة شربة عسل فقولى جرست نحلة العرفط وسأقول ذلك وقولى أنت ياصفية ذلك قالت:

تقول سودة فوالله ماهو إلا أن قام على الباب فكدت أن أباديه بما أمرتنى به فلما دنا منها قالت له سودة:

يارسول الله أكلت مغافير قال: لا قلت:

فما هذه الريح التى أجد منك قال:

سقتنى حفصة شربة عسل قالت:

جرست نحلة العرفط قالت:

فلما دخل على قلت له مثل ذلك فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك فلما دار إلى حفصة قالت:

يارسول الله أسقيك منه قال:

لاحاجة لى فيه.

تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قالت لها اسكتى.

رواه البخارى عن فرقد ورواه مسلم عن [illegible] بن سعيد كلاهما عن على بن مسهر، أخبرنا عامر الجزار عن ابن [illegible]:

أن سودة بنت زمعة كانت لها خؤولة باليمن وكان يُهدى إليها العسل وكان رسول الله ﷺ يأتيها فى غير يومها يصيب من ذلك العسل وكانت حفصة وعائشة متؤاخيتين على سائر أزواج النبى ﷺ فقالت إحداهما للأخرى:

ماترين إلى هذا قد اعتاد هذه يأتيها فى غير يومها يصيب من ذلك العسل فإذا دخل فخذى بأنفك فإذا قال مالك قولى أجد منك ريحاً لاأدرى ماهى فإنه إذا دخل على قلت مثل ذلك.

فدخل رسول الله ﷺ فأخذت بأنفها فقال:

مالك قالت:

ريحاً أجدُ منك وما أراه إلا مغافير وكان رسول الله ﷺ يعجبه أن يأخذ من الريح الطيب إذا وجدها.

ثم إذا دخل على الأخرى فقالت له مثل ذلك فقال:

لقد قالت لى هذا فلانة وما هذا إلا من شىء أصبته فى بيت سودة ووالله لا أذوقه أبداً.

قال ابن عباس:

نزلت هذه الآية في هذا

﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ .... إِن تَتُوبَآ إِلَى اللَّهِ فَقَد صَغَت قُلُوبُكُمَا ﴾

(التحريم / 4:1) [28]

عن ابن عباس قال:

وجدت حفصة رسول الله ﷺ مع أم إبراهيم من يوم عائشة فقالت لأخبرنها. فقال رسول الله ﷺ:

هي على حرام إن قربتها فأخبرت عائشة بذلك، فأعلم الله رسوله ذلك، فأنبأ حفصة بعض ما قالت فقالت له:

من أخبرك قال:

نبأني العليم الخبير فآلى رسول الله ﷺ من نسائه.

فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى اللَّهِ فَقَد صَغَت قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَولَاهُ وَجِبرِيلُ وَصَالِحُ المُؤمِنِينَ وَالمَلَائِكَةُ بَعدَ ذَالِكَ ظَهِيرٌ ﴾

(التحريم / 4)

---

(28) قوله تعالى: ﴿يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم * قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم * وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير * إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾.

أقول:

سبحان الله!!!.

إنها الفطرة التى فطر الله الناس عليها.

هاهو النبى ﷺ أيها المؤمنون وهاهن نساء النبى ﷺ أيتها المؤمنات

ولكن

احذرى أيتها المسلمة، بهدم بيت المسلم، تحت قصد الغيرة، لاتجدى أمامك الرخصة.

بل إن هذا الدرس يستفاد منه، للاحتراز ولاتفهمى أنه أمر لابد الوقوع فيه.

فالقرآن شفاءٌ فالقرآن هدى، فالقرآن رحمة [29] وانظر قول على رضى الله عنه.

عن على رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [ألا أنها ستكون فتنة فقلت وما المخرج منها يارسول الله قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم مابينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم.

رواه الترمذى وقال غريب

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

أن أناساً من أصحاب النبى ﷺ أتوا على حى من أحياء العرب فلم

(29) راجع الإمام البخارى فتح البارى جـ10 ص209 الحديث [كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه ......الخ] وقول الحافظ فى الفتح جـ8 ص131

يقروهم فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا، هل معكم من دواء أوراق؟ فقالوا، إنكم لم تقرونا ولانفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً فجعلوا لهم قطيعاً من الشاه، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ فأتوا بالشاه فقالوا لانأخذه حتى نسأل النبي ﷺ فسألوه فضحك وقال: وما أدراك أنها رُقية؟ خذوها واضربوا لى بسهم. (30)

سبب قوله تعالى

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَآءَهُ الأَعمَىٰ ﴾

(عبس / 1:2)

وهو ابن أم مكتوم وذلك أنه أتى النبي ﷺ وهو يناجى عُتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام وعباس بن عبد المطلب وأبيا وأمية ابنا خلف.

ويدعوهم إلى الله تعالى ويرجو إسلامهم فقام ابن أم مكتوم وقال:

يارسول الله علمنى مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء ولايدرى أنه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهية فى وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس رسول الله ﷺ وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله تعالى هذه الآيات. (31)

فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه وإذا رآه يقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى.

أ.هـ

---

(30) رواه مسلم جـ14 ص187 وأبو داود جـ ص223 وابن ماجه2156.

(31) ﴿عبس وتولى أن جآءه الاعمى﴾ (عبس / 1:2).

أقول:

في هذا بيان للداعي ودلالة بيان من هدى النبي ﷺ حين عاتبه المولى عز وجل في هذا الصحابي رضى الله عنه على أن الداعي لايفرق بين شخصية من يدعوهم في واقعنا والدلالة على ذلك.

(القصص / 56)[32]

- فصل -

الهُدى

سببه قوله تعالى :

﴿ كَيفَ يَهدِى اللَّهُ قَوماً كَفَرُواْ بَعدَ إِيمَـٰنِهِم وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ البَيِّنَـٰتُ وَاللَّهُ لَايَهدِى القَومَ الظَّـٰلِمِينَ * أُوْلَـٰئِكَ جَزَآؤُهُم أَنَّ عَلَيهِم لَعنَةَ اللَّهِ وَالمَلَـٰئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجمَعِينَ * خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَايُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذَابُ وَلَاهُم يُنظَرُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعدِ ذَٰلِكَ وَأَصلَحُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم ﴾

(آل عمران / 86:89)

عن خالد وداود عن عكرمة عن ابن عباس:

أن رجلاً من الأنصار ارتد فلحق بالمشركين فأنزل الله تعالى الآية.

فبعث بها قومه إليه فلما قرئت إليه قال والله ماكذبني قومي على رسول

(32) ﴿إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾.

الله ﷺ ولاكذب رسول الله ﷺ والله عز وجل أصدق الثلاثة فرجع ثانياً فقبل منه رسول الله ﷺ وتركه

وعن ابن عباس:

قال ارتد رجل من الأنصار عن الإسلام ولحق بالشرك فندم فأرسل إلى قومه أن يسألوا الرسول ﷺ هل لى من توبة فإنى قد ندمت فنزلت الآية فرجع فأسلم.

وعن مجاهد قال كان الحرث بن سويد قد أسلم وكان مع الرسول ﷺ ثم لحق بقومه وكفر فنزلت فيه هذه الآية. حملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه.

فقال الحرث: والله إنك ما علمت لصدق وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك وإن الله لأصدق الثلاثة ثم رجع فأسلم إسلاماً حسناً.

- فصل -

عدالة الله

سبب قوله تعالى :

﴿قُل لَّايَستَوِى الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَو أَعجَبَكَ كَثرَةُ الخَبِيثِ﴾
(المائدة / 100) [33]

عن جابر قال:

---

(33) قوله تعالى: ﴿قل لايستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يأولى الألباب لعلكم تفلحون﴾.

قال النبى ﷺ:

إن الله عز وجل حرم عليكم عبادة الأوثان وشرب الخمر والطعن فى الأنساب ألا إن الخمر لُعن شاربها وعاصرها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها فقام إليه أعرابى فقال:

يارسول الله إنى كنت رجلاً كانت هذه تجارتى فاقتنيت من بيع الخمر مالاً فهل ينفعنى ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله؟.

فقال له النبى ﷺ:

إن أنفقته فى حج أو جهاد أو صدقة لم يُعدل عند الله جناح بعوضة إن الله لايقبل إلا الطيب.

فأنزل الله تعالى هذه الآية تصديقاً لقوله ﷺ:

﴿قُل لَّايَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَو أَعجَبَكَ كَثرَةُ الخَبِيثِ﴾ (المائدة / 100)

أقول:

وفى عصرنا يقال هذا مسجد الممثل فلان والممثلة فُلانة وبائع المخدرات الحاج فلان بنى المسجد الفلانى.

ونحو ذلك ولايخفى الكثير، ولو تأملنا حديث النبى ﷺ فأن ملعون من أكل ثمن الخمر(34) لقلنا ياعجبا إن هناك ديار يدخل خزائنها ثمن الخمور وضرائب الخمور وجمارك الخمور ويأكلون منها.

---

(34) عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال:
[لعن فى الخمرة عشرة: عاصرها، وشاربها، وحاملها، المحمولة اليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشترى لها، والمشترى له]
رواه ابن ماجه والترمذى وقال حديث غريب..

أين أنت يا رسول الله؟!!!.

بل أين نحن من هديك صلى الله عليك ياعَلَم الهُدى؟!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن الله طيب لايقبل إلا طيباً].

- رواه مسلم عن أبي هريرة -

وانظر قوله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبتُم وَمِمَّآ أَخرَجنَا لَكُم مِّنَ الأَرضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ الخَبِيثَ مِنهُ تُنفِقُونَ وَلَستُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغمِضُواْ فِيهِ وَاعلَمُوٓاْ أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾

(البقرة / 267)

- فصل -

عصمة الله

سبب قوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

(المائدة / 67) [35]

قالت عائشة رضى الله عنها:

سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة فقلت:

(35) قوله تعالى: ﴿ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لايهدى القوم الكافرين﴾.

يارسول الله ماشأنك قال:

ألا رجل صالح يحرسنا الليلة فقالت:

بينما نحن فى ذلك سمعت صوت السلاح فقال من هذا قال : سعد وحذيفة جئنا نحرسك فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه وهنا نزلت هذه الآية.

فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة [36] وقال:

«انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمنى الله».

عن عكرمة

عن ابن عباس

كان رسول الله ﷺ يُحْرَس وكان يرسل معه أبوطالب رجالاً من بنى هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الآية.

﴿ وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

(المائدة / 67)

قال :

فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه فقال:

ياعم إن الله قد عصمنى من الجن والإنس.

---

(36) راجع ابن كثير جـ2 ص79.78.

سبب قوله تعالى:

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
(التكوير / 29)

حدثنا سعيد بن عبدالعزيز عن سلمان بن موسى قال:

لمّا أنزل الله عز وجل ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال:

ذلكَ إلينا إن شئنا استقمنا وإن لم نشأ لم نستقم فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أقول:

تأملوا في مشيئة الله عز وجل لقد قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ولاتقولن لشيء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله﴾ [37] فى واقعنا المعاصر، يقولون صدفة خير من ألف ميعاد، وقابلت فلان صدفة، ولكن من الواجب على المسلم، أن يقول لقيتُ فلاناً قدراً لأننا لم نخلق عبساً، فمن آمن بالصدفة، فقد كفر بالقدر [وهل يكب الناس على مناخرهم إلا بحصائد ألسنتهم]. [38]

---

(37) سورة الكهف الآية 24,23.

(38) رياض الصالحين ص6:4 للإمام النووى – دار الغد العربى..

- فصل -

تأملات

سبب قوله تعالى:

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِى الَّيلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾
(الأنعام / 13)

عن ابن عباس:

أن كفار مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا:

يامحمد إنا قد علمنا أنه إنما يحملك على ماتدعو إليه الحاجة فنحن نجعل لك نصيباً فى أموالنا حتى تكون أغنانا رجلاً وترجع عما أنت عليه فنزلت هذه الآية.

أ.هـ

أقول:

سبحان ربى هذه سنتك فى خلقك لازالت حفدة هؤلاء يعرضون هذا على من قلت فيهم ويعطونهم المناصب والكراسى التى لاتدوم.

(الأعراف / 176) [39]

فضلوا وأضلوا وصدق رسولك الكريم حين قال: [لتركبن سنن من كان قلبكم.... الخ].

(39) قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾.

والحديث عن أبى سعيد الخدرى.(40)

سبب قوله تعالى:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ يَدعُونَ رَبَّهُم خَوفاً وَطَمَعاً وَمِـمَّا رَزَقنَـٰهُم يُنفِقُونَ ﴾

(السجدة / 16)

قال مالك بن دينار سألت أنس بن مالك عن هذه الآية فيمن نزلت فقال كان أناس من أصحاب رسول الله ﷺ يُصلون من المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة.

فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية.

وعن قتادة عن أنس بن مالك قال: فينا نزلت معاشر الأنصار.

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ يَدعُونَ رَبَّهُم خَوفاً وَطَمَعاً وَمِـمَّا رَزَقنَـٰهُم يُنفِقُونَ ﴾

(السجدة / 16)

---

(40) وعن بكير بن سوادة أن موسى بن الأشعث حدثه ان الوليد حدثه أنه انطلق وهو وابيض يُصلون فقلت الحمد لله الذى جمع بالإسلام الأحمر والأسود فقال ابيض: والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى تبقى ملة إلا ولها منكم نصيب قلت يبادرون يخرجون من الإسلام قال: يُصلون بصلاتكم ويجلسون مجالسكم وهو معكم فى سوادكم ولكل ملة منهم نصيب «رواه عبدان فى كتاب الصحابة».
وهذه الموقوفات لها حكم الرفع لأن فيها اخباراً عن امر غيبى وذلك لايقال من قبل الرأى وانما يقال عن توقيف والله أعلم.
وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «لايكن فى بنى اسرائيل شىء إلا وهو كائن فيكم» رواه نعيم بن حماد فى الفتن ومحمد بن نصر فى كتاب السنة.
انظر كتاب اتحاف الجماعة جـ1 للتويجرى ص222، ص223، ص224.

كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ.

وقال الحسن ومجاهد:

نزلت في المتهجدين الذين يقومون الليل إلى الصلاة.

وعن معاذ بن جبل قال:

بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقد أصابنا الحر فتفرق القوم فإذا رسول الله ﷺ أقربهم منى فقلت يارسول الله أخبرني بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار[41] ... الخ.

قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولاتشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وإن شئت أنبئتك بأبواب الخير فقال: قلت أجل يارسول الله، قال الصوم جُنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل يبتغى وجه الله تعالى، ثم قرأ هذه الآية: (السجدة / 16)

أ.هـ

أقول:

انظر لابد من التوحيد.[42]

(41) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح من شرح الأربعين حديثاً النووية للعلامة ابن دقيق العيد.

(42) هذه كلمة قد تعرف عليها الدُعاه لكن الصواب كلمة افراداً لله تعالى.

سبب قوله تعالى:

﴿ فَاستَجَابَ لَهُم رَبُّهُم أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَو أُنثَىٰ بَعضُكُم مِّن بَعضٍ ﴾
(آل عمران / 195) [43]

عن سفيان بن عمرو بن دينار عن سلمة بن عمر بن أبي سلمة رجل من ولد أم سلمة قال:

قالت (أي أم سلمة):

يارسول الله لانسمع كلام الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أ.هـ

أقول:

إنها لنعمة، فلينتبه كل منا!!!، من ذكر وأنثى الجميع ملاقوا ربهم، الجميع يعمل، الجميع في رباط، وهذا مقام نحسد عليه يا أختاه.

سبب قوله تعالى:

عن عبدالله بن عمر قال:

﴿ إِذَا زُلزِلَتِ الأَرضُ زِلزَالَهَا ﴾
(الزلزلة / 1)

وأبوبكر الصديق –رضى الله عنه– قاعد فبكى فقال له رسول الله ﷺ:

(43) قوله تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم انى لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقُتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾.

مايبكيك يا أبابكر قال:

أبكانى هذه السورة فقال رسول الله ﷺ:

لو أنكم لاتخطئون ولاتذنبون لخلق الله أمة من بعدكم يخطئون ويذنبون فيغفر لهم.

﴿ فَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ * وَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾.

(الزلزلة / 8:7)

قال مقاتل:

نزلت فى رجلين كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ويقول:

ما هذا شىء وإنما نؤجر على مانعطى ونحن نحبه وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير، الكذبة والغيبة، والنظرة ويقول:

ليس على من هذا شىء إنما أوعد الله بالنار على الكبائر فأنزل الله عز وجل يرغبهم فى القليل من الخير فإنه يوشك أن يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر.

أ.هـ

أقول:

انتبهوا!! إن الأرض تكلم ربها، يامن عجزتم على أن تكلموا ربكم انتبهوا!! حين تتكلم الأرض لاينفع نفساً إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل، إن الأرض اليوم تشهد عليكم وغداً تُحَدِّثُ أخباركم ماذا أنتم فاعلون إذا زلزلت الأرض زلزالها؟.

- فصل -

إن للمتقين مفازا

سبب قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجعَل لَّهُ مَخرَجاً وَيَرزُقهُ مِن حَيثُ لاَ يَحتَسِبُ ﴾

(الطلاق / 3:2)

نزلت في عوف بن مالك الأشجعي: وذلك أن المشركين أسروا ابناً له فأتى رسول الله ﷺ وشكا إليه الفاقة وقال:

إن العدو أسر ابني وجزعت الأم فما تأمرني فقال النبي ﷺ:
اتق الله واصبر، وآمرك وإياها أن تستكثر من قول، لاحول ولاقوة إلا بالله، فعاد إلى بيته وقال لامرأته:
إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول لاحول ولاقوة إلا بالله فقالت: نعم ما أمرنا به.

فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة فنزلت هذه الآية.

عن جابر بن عبد الله قال:

نزلت هذه الآية

(الطلاق / 3:2) [44]

(44) قوله تعالى: ﴿فإذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾

في رجل من أشجع كان فقيراً خفيف ذات اليد كثير العيال فأتى رسول الله ﷺ فسأله فقال:

اتق الله واصبر فرجع إلى أصحابه فقالوا ما أعطاك رسول الله ﷺ فقال:

ما أعطاني شيئاً قال: اتق الله واصبر فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ابن له بغنم وكان العدو أصابوه فأتى رسول الله ﷺ فسأله عنها وأخبره خبرها فقال رسول الله ﷺ إياكها فنزلت الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجعَل لَّهُ مَخرَجاً وَيَرزُقهُ مِن حَيثُ لَا يَحتَسِبُ﴾

أ.هـ

أقول:

وفي واقعنا المعاصر لو سَمِعَ هذه السببية من يزعمون أنهم من أهل الإسلام لسخروا من قائلها وأخذوها من باب التسلية أو يقولون هؤلاء كانوا في عهد النبي ﷺ وكأن القرآن لم يكن لأهل هذا الوقت.

ولكنها تلك الآيات بعينها، من أحب النبي ﷺ وعرف هدى النبي ﷺ فهو الذي أصبح لله ولياً وهو النقي التقي الذي يرزقه الله من حيث لايحتسب ولاحول ولاقوة إلا بالله.

- فصل -

المرء مع من أحب
سبب قوله تعالى:

﴿وَيَومَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيهِ يَقُولُ يَٰلَيتَنِى اتَّخَذتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَٰوَيلَتَىٰ لَيتَنِى لَم أَتَّخِذ فُلَاناً خَلِيلاً﴾
(الفرقان / 28:27)

إن أبى بن خلف وعقبة بن أبى محيط كانا متحالفين وكان عقبة لايقدم من سفر إلا صنع طعاما فدعا إليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبى ﷺ فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً فدعا الناس ودعا رسول الله ﷺ إلى طعامه فلما قرب الطعام قال رسول الله ﷺ:

ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فقال عقبة:

أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فأكل رسول الله ﷺ من طعامه.

وكان أبى بن خلف غائباً فلما أخبر بقصته قال:

صبأت ياعقبة فقال:

والله ما صبأت ولكن دخل علىّ رجل فأبى أن يُطعم من طعامى إلا أشهد له فاستحييت، أن يخرج من بيتى، ولم يطعم فشهدت، فَطَعم فقال أبى: ما أنا بالذى رضى منك أبداً، إلا أن تأتيه فتبزق فى وجهه، وتطأ عنقه، ففعل ذلك عقبة، فأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه فقال رسول الله ﷺ:

لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فقُتل عقبة يوم بدر صبراً وأما أبى بن خلف فقتله النبى ﷺ يوم أحد فى المبارزة، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية:

أ.هـ

أقول:

لو تأملنا فى من يقولون اليوم لا إله إلا الله زعماً أنها كلمة وأن من قالها دخل الجنة ولم يفهموها ولم يعملوا بحقها فأين هم من هذا؟ كما يتبين لنا من تلك الآيات البينات، إن الداعى إلى الله لا يرق ولا يتسامح إلا فى

سبيل دخول الناس فى دين الله، ولذلك قال ابن عباس كان أبى بن خلف يحضر النبى ﷺ ويجالسه ويستمع إلى كلامه من غير أن يؤمن به فذكره عقبة بن أبى معيط.(45)

سبب قوله تعالى:

﴿ أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيهِم مَّاهُم مِّنكُم وَلَامِنهُم وَيَحلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُم يَعلَمُونَ ﴾
(المجادلة / 14)(46)

وقوله تعالى :

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُم سَآءَ مَا كَانُواْ يَعمَلُونَ * اتَّخَذُوٓاْ أَيمَـٰنَهُم جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُم عَذَابٌ مُّهِينٌ * لَّن تُغنِيَ عَنهُم أَموَالُهُم وَلَآ أَولَـٰدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيئاً أُوْلَـٰئِكَ أَصحَـٰبُ النَّارِ هُم فِيهَا خَـٰلِدُونَ * يَومَ يَبعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحلِفُونَ لَكُم وَيَحسَبُونَ أَنَّهُم

---

(45) عن الضحاك أنه قال: «يأتى على الناس زمان تكثر فيه الأحاديث حتى يبقى المصحف عليه الغبار لاينظر فيه».

رواه عبد الله بن الامام أحمد فى زوائد الزهد وفى اسناده رجل لم يسم وبقية رجاله ثقات.

ومثله لايقال من قبل الرأى وانما يقال عن توقيف.

وقد كثرت أحاديث الجرائد والمجلات فى زماننا وكذلك أحاديث الإذاعات وأكثر الكتب العصرية وانتتن بذلك الاكثرون من الخاصة والعامة وأعرضوا عن كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله ﷺ وآثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة العلم والهدى من بعدهم. ولعل زماننا هو الزمان الذى ذُكِرَ عن الضحاك ماذكر والله أعلم(*)

(*) من كتاب اتحاف الجماعة للتويجرى جـ1 ص425.

والتنبيه أرنى من يكذرون تارك الصلاة ويعطونه من الولاء والود وما هو من حق المسلم.

(46) قوله تعالى: ﴿الم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولامنهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾.

﴿عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَٰذِبُونَ﴾

(المجادلة / 18:15)

نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق، كان يجالس النبي ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود.

فبينما رسول الله ﷺ في حُجَرة من حجره إذ قال: يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان، فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق فقال له رسول الله ﷺ:

عَلاَم تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله مافعل ذلك فقال له النبي ﷺ:

فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أ.هـ

أقول:

وليتدبر أولو الألباب أنه قد مات النبي وحيّ شرعه وانقطع الوحي وَحَيّ ربه يشهد عليكم يا من تسبون هدى النبي ﷺ وتسبون من كانوا على هديه، ويامن تتولونهم فأنتم معهم في غضب الله تعالى.

وهذا القرآن شهيد عليكم وهو يُتلى عليكم، آناء الليل وأطراف النهار.

وعن ابن عباس:

أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: [ياأيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله وسنتي] أخرجه الحاكم.

وأخرج بسنده عن ابن وهب قال:

سمعت مالك بن أنس يقول:

الزم ما قال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع [أمران تركتهما فيكم لن تضلوا ماتمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه].

قال رسول الله ﷺ: (47)

[أبشروا أبشروا، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله؟ قالوا نعم قال: فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، فأنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً] هذا سند صحيح على شرط مسلم.

- فصل -

سلوكيات وأوامر

سبب قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعضَكُم عَلَىٰ بَعضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكتَسَبنَ وَسئَلُواْ اللَّهَ مِن فَضلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيماً ﴾
(النساء / 32)

(47) سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الثانى للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى.

عن عكرمة:

أن النساء سألن الجهاد فقلن:

وددنا أن الله جعل لنا الغزو فنصيب من الأجر مايصيب الرجال، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال قتادة والسدى:

لما نزل قوله تعالى:

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾

(النساء / 11)

قال الرجل:

إنا لنرجوا أن نفضل على النساء بحسناتنا فى الآخرة كما فضلنا عليهم فى الميراث، فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء.

وقالت النساء إنا لنرجوا أن يكون الوزر علينا نصف ماعلى الرجال فى الآخرة كما لنا فى الميراث على النصف من نصيبهم فى الدنيا فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أ.هـ

أقول:

وهذا مانحن فى حاجة إليه الأن إن كنا نريد أن نكون مع هؤلاء وفى ذلك فليتنافس المتنافسون.

سبب قوله تعالى:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

(النساء / 34) [48]

قال مقاتل:

نزلت الآية فى سعد بن الربيع وكان من النقباء وامرأته حبيبة بنت زيد بن أبى هريرة وهم من الأنصار وذلك أنها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها الى النبى ﷺ فقال:

أفرشته كريمتى فلطمها فقال النبى ﷺ:

لتقتص من زوجها وانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبى ﷺ ارجعوا هذا جبريل عليه السلام أتانى وأنزل الله تعالى هذه الآية.

فقال رسول الله ﷺ: أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذى أراد الله خيراً وَرفِعَ القصاص.

وقيل إن رجلا لطم امرأته فخاصمته إلى النبى ﷺ فجاء معها أهلها فقالوا:

يارسول الله إن فلانا لطم صاحبتنا فجعل رسول الله ﷺ يقول: القصاص القصاص ولايقضى قضاء. فنزلت الآية.

قال النبى ﷺ أردنا أمرا وأراد الله غيره.

---

(48) قوله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللآتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلاتبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا﴾.

وقيل إن النبى ﷺ قال:

أردنا أمرا فأبى الله تعالى خذ أيها الرجل بيدى امرأتك.

سبب قوله تعالى:

﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَايَسخَر قَومٌ مِّن قَومٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيراً مِّنهُم ﴾

(الحجرات / 11) [49]

نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه كان فى أذنه وقر فكان إذا أتى رسول الله ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع مايقول.

فجاء يوما وقد أخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول:

تفسحوا فقال له رجل:

قد أصبت مجلسا فجلس ثابت غَضِباً فغمز الرجل فقال:

من هذا؟ فقال أنا فلان فقال ثابت ابن فلانة وذكر أُماً كانت له يعير بها فى الجاهلية فنكس الرجل رأسه استحياء فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿ وَلَانِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيراً مِّنهُنَّ ﴾

(الحجرات / 11)

وقيل نزلت فى امرأتين من أزواج النبى ﷺ سخرتا من أم سلمة وذلك أنها ربطت حقويها بسبنية وهو ثوب أبيض وسدلت طرفها خلفها فكانت تجره فقالت عائشة لحفصة.

(49) ﴿يأيها الذين ءامنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولاتلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾.

انظرى ماتجر خلفها كأنه لسان كلب فهذا كان سخريتها.

وقال أنس:

نزلت فى نساء النبى ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر.

وعن ابن عباس:

أن صفية بنت حيى بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت:

إن النساء يعيرننى ويقلن يايهودية بنت يهوديين فقال رسول الله ﷺ:

هلا قلت إن أبى هارون وإن عمى موسى وإن زوجى محمد، فأنزل الله تعالى هذه الآية السابقة.

أقول:

صدق الله تعالى حين قال:

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾
(الأحزاب / 32) [50]

إنكِ يا أمى المدرسة

وأنتن المعلمات، ومنكن يتعلمن نساؤنا.

فهذا درس لكل مسلم ومسلمة يؤمنون بالله واليوم الآخر نتخلق بأخلاق الأوائل، فنحشر مع الأوائل.

هذه فائدة لكل سائل وسائلة.

---

(50) قوله تعالى: ﴿يانساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلاتخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً﴾.

ونحن أحوج - بل وفى أشد الحاجة - إلى فهم ما جاء فى القرآن من هذه المسائل.

سبب قوله تعالى:

﴿ وَيلٌ لِّلمُطَفِّفِينَ ﴾

(المطففين / 1)

عن ابن عباس:
لما قدم النبى ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى هذه الآية فأحسنوا الكيل بعد ذلك قال القرطبى:

كان بالمدينة تجار يطففون وكانت بياعاتهم كشبه القمار، المنابذة والملامسة والمخاطرة فأنزل الله تعالى هذه الآية.

فخرج رسول الله ﷺ إلى السوق وقرأها وقال السدى:

قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿ وَيلٌ لِّلمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَستَوفُونَ ﴾

(المطففين / 2:1)

أ.هـ

أقول:
كان فى عهد النبى ﷺ يتنزل الوحى وأما فى واقعنا فقد انقطع الوحى ولكن لازالت العلامات والسنن، يطففون الكيل والميزان وكأن القرآن لايقرأ عليهم مع أنه يوجد هناك إذاعة تسمى بإذاعة القرآن، بل وجعلوه ترانيم فى صلاتهم.

وقد يكون التاجر منهم يؤم الناس بتلك الآيات ويخرج فيخسر الميزان تخرج الكلمات من أفواهم وقلوب هؤلاء التجار مؤصدة ياليتها تعيها الأذن صدقت ياحبيبى حين قلت.

[لتركبن سنن من كان قبلكم.....][51] الحديث.

- فصل -

آداب

سبب قوله تعالى:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ الَّتِى هِىَ أَحسَنُ ﴾
(الاسراء / 53)[52]

نزلت فى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه.

وذلك أن رجلا من العرب شتمه فأسره الله تعالى بالعفو وقال الكلبى:

كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أقول:

تخلقوا بأخلاق الفاروق يا مسلمين.

---

(51) [لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وباعاً بباع حتى لو أن أحدهم دخل حجر ضب دخلتم ولو أن أحدهم ضاجع أمه فى الطريق لفعلتم]
رجاله رجال الصحيح انظر السلسلة الصحيحة للألبانى المجلد الثالث ص234 حديث (1348).

(52) قوله تعالى: ﴿وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً﴾.

ولكن هذا فى الاستضعاف، والاستضعاف يتغير من شخص إلى آخر بمثابة الدفاع.

وكذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وهذا هو عمر المشهور مقولته عند الهجرة فلا تبالغوا فى الاستضعاف ولاتتركوا الجهاد.

سبب قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾
(الحجرات / 6) [53]

نزلت فى الوليد بن عقبة ابن أبى معيط بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى المصطلق مصدقاً وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية فلما سمع القوم تلقوه تعظيماً لله تعالى ولرسوله، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال:

إن بنى المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلى فغضب رسول الله ﷺ وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا:

سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه نؤدى إليه ماقبلنا من حق الله تعالى فبدا له فى الرجوع فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله هذه الآية.

أ.هـ

---

(53) قوله تعالى: ﴿يأيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين﴾.

أقول:

لو أننا تأملنا فى هذه الآية.

لأحسنا الظن وما أبدلنا الإحسان بالإساءة للآخرين ولعلمنا قدر الخضوع لله والرسول.

ولفهمنا أن الذى يستسلم لله ولرسوله لايكون ضعيفا على أخذ حقه من الناس وبذلك كنا لانجد فى أهل هذا الزمان الذين أبدلوا الصدقات بالضرائب وعمالهم على الصدقة - أى الضرائب - يقبلون الرشوة وما هم أحد ولا أهتم بغزوهم ولابنزو من أبدلوا قانون الصدقات بقانون الضرائب. (54)

(54) عن معاذ بن جبل -رضى الله عنه - قال:
سمعت رسول الله ﷺ يقول:
[خذوا العطاء مادام العطاء فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوا ولستم بتاركيه يمنعكم الفقر والحاجة ألا إن رحا الإسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب ألا أنه سيكون عليكم امراء يقضون لأنفسهم مالا يقضون لكم فإذا عصيتموهم قتلوكم وإن أطعتموهم أضلوكم قالوا: يارسول الله كيف نصنع قال: كما صنع أصحاب عيسى بن مريم نشروا بالمناشير وَحُمِلُوا على الخشب موت فى طاعة الله خير من حياة فى معصية الله]
رواه الطبرانى قال الهيثمى ويزيد بن مرثد لم يسمع من معاذ وثقه ابن حبان وغيره وبقية رجاله ثقات.
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
[سيكون فى آخر الزمان أمراء ظلمة ووزراء فسقة وقضاة خونة وفقهاء كذبة فمن أدرك ذلك الزمان منكم فلا يكونن لهم جابياً ولا عريفاً ولا شرطياً].
رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط قال الهيثمى وفيه داود بن سليمان الخرسانى قال الطبرانى لابأس به ومعاوية بن الهيثم لم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

- فصل -

سمات أهل الفجور

سبب قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشتَرِي لَهوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيرِ عِلمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً ﴾

(لقمان / 6)[55]

قال الكلبى ومقاتل:

نزلت فى النضر بن الحارث وذلك أنه كان يخرج تاجراً إلى فارس فيشترى أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشاً ويقول لهم:

إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود.

وأنا أحدثكم بحديث رستم وأسفنديار أخبار الأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن فنزلت الآية.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشتَرِي لَهوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيرِ عِلمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً ﴾

(لقمان / 6)

وقال مجاهد:

نزلت فى شراء القيان والمغنيات.

---

(55) قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين﴾.

عن أبى أمامة قال:
قال رسول الله ﷺ:
لايحل تعليم المغنيات ولابيعهن وأثمانهم حرام وفى مثل هذا نزلت هذه الآية.

وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله تعالى عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت.

عن ابن عباس:
نزلت هذه الآية فى رجل اشترى جارية تغنيه ليلا ونهارا.

أ.هـ

أقول:
تأملوا دون الألم لأصحاب الأفلام والقصص والأقلام وأشرطة الكاسيت المسموعة التى فتحت لها المتاجر خصيصاً فى عصرنا وزماننا هذا ويتكسبون منها ولايبالون ويطعمون أولادهم وذويهم.

وقد أصبح للشيطان فيهم نصيب مفروض ويزعجوننا أثناء الليل وآطراف النهار.

لايبالون مؤلفون مهطلون وشعراء فى المجون وهذا عاشق مولع وهذا بالشريط الفلانى مجنون.

وقد أصبح اللهو على كل لون. (56)

(لقمان / 6)

---

(56) عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
[إن عن اشراط الساعة أن يُرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا]
رواه الإمام أحمد والشيخان.
انظر اتحاف الجماعة للتويجرى جـ1 ص450 باب ما جاء فى قبض العلم وظهور الجهل..

- فصل -

الأمر بالحجاب

سبب قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ﴾

(الأحزاب / 59) [57]

عن حصين عن أبى مالك قال:

كانت نساء المؤمنين يخرجن بالليل إلى حاجتهن وكان المنافقين يتعرضون لهن ويؤذونهن فنزلت الآية.

وقال السدى:

كانت المدينة ضيقة المنازل وكان النساء إذا كان الليل خرجن فقضين الحاجة وكان فساق من فساق المدينة يخرجون فإذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا:

هذه حرة فتركوها وإذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا:

هذه أمة فكانوا يراودونها فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أقول وفى عصرنا تغيرت الفعلة وخرجت النساء ليتبخترن فى الطرقات ويتمايلن فإذا بالفساق يراودوهن بالسيارات. وبأنواع المغريات إلى أن يذهبن

---

(57) قوله تعالى: ﴿يأيها النبى قل لأزواجك وبنا[illegible] المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين وكان ال[illegible] :

إلى مأربهم ولم تعف إلا التي تحررت من عبودية الشهوات الى عبودية رب الأرض والسماوات.

ولاتعنينا من تتستر تحت هذا الزى لأنه على الحقيقة لن يكون وقاية إلا للذين أنزله الله فيهن من المؤمنات. (58)

[خير نسائكم الودود الولود، المواتية؟ المواسية؟ إذا اتقين الله؟ وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات؟ وهن المنافقات: لايدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم]. (59)

- فصل -

العدة ومايجب على المعتدة

سبب قوله تعالى:

﴿ يَٰأَيُّهَا النَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾

(الطلاق / 1) (60)

---

(58) عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال:
قال رسول الله ﷺ: [صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولايجدون ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا] رواه مسلم والإمام أحمد. إتحاف الجماعة. باب الإخبار عن الكاسيات العاريات..

(59) أخرجه البيهقى فى السنن راجع كتاب السلسلة الصحيحة المجلد4 ص464 رقم الحديث849 : للأستاذ / محمد ناصر الدين الألبانى..

(60) قوله تعالى: ﴿يأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾.

روى عن قتادة عن أنس قال:

طلق رسول الله ﷺ حفصة فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل راجعها فإنها صوامة قوامة وهى من إحدى أزواجك ونسائك فى الجنة.

وقال السدى:

نزلت فى عبد الله بن عمر وذلك أنه طلق امرأته حائضاً فأمره رسول الله ﷺ أن يراجعها ويمسكها حتى تطهر ثم تحيض حيضة أخرى، فإذا طهرت طلقها إن شاء قبل أن يجامعها فإنها العدة التى أمر الله بها أن تطلق لها النساء.

﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾
(الطلاق / 1)

أ.هـ

أقول:

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾
(الطلاق / 1)

فذكر هنا الطلاق مرتين.

فنفهم أنه ابتداء لفظى ثم بعد العدة واقع فما ينبغى لمؤمنة أن تخرج من بيتها بعد اللفظ بالطلاق إلا إن كانت الثالثة لأنه لايحل لها.

أما إن كانت دون الثالثة فعلى المؤمنة أن تتقى الله كما أمرها الله وأن تتربص ثلاثة قروء وإن كانت حامل حتى تدع حملها فعسى أن يحدث الله بعد ذلك أمراً. (61)

سبب قوله تعالى:

﴿ وَالَّـٰئِي يَئِسنَ مِنَ الـمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُم إِنِ ارتَبتُم فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشهُرٍ ﴾

(الطلاق / 4) (62)

قال مقاتل:

لما نزلت «والمطلقات يتربصن بأنفسهن» الآية قال خلاد بن النعمان بن قيس الأنصارى:

يارسول الله فما عدة التى لاتحيض وعدة التى لم تحيض وعدة الحبلى فأنزل الله تعالى هذه الآية.

عن أبى عثمان عمرو بن سالم قال:

لما نزلت عدة النساء فى سورة البقرة فى المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال أبى بن كعب:

يارسول الله إن نساء من أهل المدينةَ يقُلن قد بقى من النساء من لم يذكر فيها شيء قال:

الصغار والكبار وذوات الأحمال فنزلت هذه الآية:

---

(61) راجع كتاب الفقه فى هذا الباب. واحذر الخلاف والجدل.

(62) قوله تعالى: ﴿واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائى لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾.

﴿ وَالَّـٰـئِى يَئِسنَ مِنَ الـمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُم إِنِ ارتَبتُم فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشهُرٍ وَالَّٰـئِى لَم يَحِضنَ وَأُولَـٰتُ الأَحمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعنَ حَملَهُنَّ ﴾
(الطلاق / 4)

- فصل -

سمات الكفار

سبب قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤذُونَ المُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَـٰتِ بِغَيرِ مَا اكتَسَبُواْ ﴾
(الأحزاب / 58)

قال عطاء:

عن ابن عباس قال:

رأى عمر رضى الله عنه جارية من الأنصار متبرجة فضربها وكره مارأى من زينتها. فذهبت إلى أهلها تشكو عمر فخرجوا إليه فآذوه فأنزل الله تعالى هذه الآية:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤذُونَ الـمُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَـٰتِ بِغَيرِ مَا اكتَسَبُواْ فَقَدِ احتَمَلُواْ بُهتَـٰناً وَإِثماً مُّبِيناً ﴾
(الأحزاب / 58)

أقول:

لو أن أهل هذا الزمان قرأوا هذا القرآن، وتفهموه ولكنهم لم يفعلوا،

وكأنهم فى حاجة إلى قرآن يتنزل عليهم لأن هذه الحادثة لازالت تتكرر فَيُهاجِمُون من رفع صوته بالحق شكوت إليك ربى يامن قلت:

سبب قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعدَ إِيمَـٰنِهِم ثُمَّ ازدَادُواْ كُفراً لَّن تُقبَلَ تَوبَتُهُم وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ ﴾

(آل عمران / 90)

قال الحسن وقتادة:

نزلت فى اليهود كفروا بعيسى والإنجيل ثم ازدادو كفراً بمحمد ﷺ والقرآن.

وقيل نزلت فى اليهود والنصارى كفروا بمحمد ﷺ بعدْ إيمانهم بنعته وصفته ثم ازدادوا كفراً بإقامتهم على كفرهم.

سبب قوله تعالى:

﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُم هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَـٰبَ مِن قَبلِكُم وَالكُفَّارَ أَولِيَآءَ واتَّقُواْ اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ ﴾

(المائدة / 57)

قال ابن عباس:

كان رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان

رجال من المسلمين يوادونهما، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

سبب قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُم إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ﴾
(المائدة / 58) (63)

قال الكلبى كان منادى رسول الله ﷺ إذا نادى إلى الصلاة فقام المسلمون إليهم قالت اليهود:

قوموا صلوا اركعوا على طريق الاستهزاء والضحك فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال السدى:

نزلت فى رجل من نصارى المدينة كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله قال حرف الكاذب فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم وأهله نيام فطارت منها شرارة فى البيت فاحترق هو وأهله.

وقال آخرون:

إن الكفار لما سمعوا الأذان حضروا رسول الله ﷺ والمسلمون على ذلك وقالوا يامحمد لقد ابتدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم فإن كنت تدعى النبوة فقد خالفت فيما أحدثت من هذا الأذان الأنبياء من قبلك ولو كان فى هذا خير كان أولى الناس به الأنبياء والرسل من قبلك فمن أين لك صياح كصياح البعير فما أقبح من صوت ولا أسمج من كفر فأنزل الله تعالى هذه الآية وأنزل

---

(63) قوله تعالى: ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لايعقلون﴾.

﴿ وَمَن أَحسَنُ قَولاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَـالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسلِمِينَ ﴾

(فصلت / 33)

- فصل -

رحمة الله ونصيحة رسوله

عن عبد الله بن مسعود قال:

سألت رسول الله ﷺ أى الذنب اعظم؟

قال:

[أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قال. قلت. ثم أى. قال. أن تقتل ولدك مخافة أن يُطعم معك.

قال: قلت. ثم أى قال أن تزنى بحليلة جارك][64] فأنزل الله تعالى تصديقاً لذلك

﴿ وَالَّذِينَ لَايَدعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَـهاً ءَاخَرَ وَلَايَقتُلُونَ النَّفسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالـحَقِّ ولَايَزنُونَ ﴾

(الفرقان / 68)[65]

وعن ابن مسعود قال:

---

(64) رواه البخارى ومسلم.

(65) قوله تعالى: ﴿والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما﴾.

أتى وحشى إلى النبى ﷺ:

يامحمد أتيتك مستجيراً فآجرنى حتى أسمع كلام الله فقال رسول الله ﷺ:

قد كنت أحب أن أراك على غير جوار فأما إذ أتيتنى مستجيراً فأنت فى جوارى حتى تسمع كلام الله قال:

فإنى أشركت بالله وقتلت النفس التى حرم الله تعالى وزنيت هل يقبل الله منى توبه فصمت رسول الله ﷺ حتى نزلت الآية.

(الفرقان / 68)

فتلاها عليه فقال أرى شرطاً فلعلى لاأعمل صالحاً أنا فى جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَايَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾
(النساء / 48) (66)

فدعا به، فتلاها عليه، ولعلى ممن لايشاء، أنا فى جوارك، حتى أسمع كلام الله، فنزلت.

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾

(الزمر / 53)

فقال نعم الآن لاأرى شرطاً فأسلم.

وهذا من سبب نزول الآية 68 فى سورة الفرقان.

---

(66) قوله تعالى: ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾.

أقول:

إنه لابد لنا أن نتأمل فى رحمة الله تعالى التى وسعت كل شىء، ولكنها لأهل لا إله إلا الله، الذين يؤدون حقها.

سبب قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران / 200)

أخبر سعيد بن أبى عمرو الحافظ قال: أخبرنا أبو على الفقيه قال حدثنا الى أن قال حدثنى داود بن صالح قال: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن يابن أخى هل تدرى في أى شىء نزلت هذه الآية، التى ذكرتها آنفاً. قال: قلت لا. قال: إنه يابن أخى إنه لم يكن فى زمن النبى ﷺ ثغر يرابط فيه ولكن انتظار الصلاة خلف الصلاة.[67]

أ.هـ

(67) رواه الحاكم أبو عبد الله في مستدركه عن أبى محمد المزنى عن أحمد ابن نجدة عن سعيد بن منصور عن ابن المبارك..

- فصل -

القذائف

سبب قوله تعالى:

﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِاللَّهِ مَا لَم يُنَزِّل بِهِ سُلطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثوَى الظَّالِمِينَ ﴾

(آل عمران / 151)

قال السدى: لما ارتحل أبو سفيان والمشركون، يوم أحد متوجهين إلى مكة انطلقوا حتى بلغو بعض الطريق ثم إنهم لاموا أنفسهم.

وقالوا: بئس ماصنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشرذمة تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله تعالى فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

- فصل -

مغفرة الذنوب

سبب قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَو ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُم ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاستَغفَرُواْ لِذُنُوبِهِم وَمَن يَغفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَم

يَعْلَمُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَـٰئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَـٰمِلِينَ ﴾

(آل عمران / 136:135)

قال ابن عباس نزلت فى نبهان التمار أتته امرأة حسناء باع منها تمرا فضمها إلى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فأتى النبى ﷺ فذكر له فنزلت الآية وقيل إن رجلين أنصارياً وثقفياً آخى رسول الله ﷺ بينهما فكانا لايفترقان فخرج رسول الله ﷺ فى بعض مغازيه وخرج معه الثقفى وخلف الأنصارى فى أهله وحاجته وكان يتعاهد أهل الثقفى فأقبل ذات يوم فأبصر امرأة صاحبه قد اغتسلت هى ناشرة شعرها فوقعت فى نفسه فدخل ولم يستأذن حتى انتهى إليها فذهب ليقبلها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيا فأدبر راجعاً فقالت سبحان الله، خنت أمانتك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك قال فندم على صنيعه، فخرج يسيح فى الجبال ويتوب إلى الله تعالى من ذنبه حتى وافى الثقفى فأخبرته أهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل عليه فوافقه ساجداً وهو يقول ربى ربى ذنبى قد خنت أخى.

فقال له يافلان قم فانطلق إلى رسول الله ﷺ فسله عن ذنبك لعل الله يجعل لك فرجاً وتوبة فأقبل معه حتى رجع إلى المدينة وكان ذات يوم عند صلاة العصر نزل جبريل عليه السلام بتوبته فتلا على رسول الله الآية.

فقال [illegible]

يارسول [illegible] أم للناس عامة. قال بل للناس عامة، وعن [illegible] ﷺ أبنوا إسرائيل أكرم على الله منا؟ كانو [illegible] كفارة ذنبه مكتوبة فى عتبة بابه اجدع

أذنك اجدع أنفك افعل كذا فسكت النبى ﷺ فنزلت الاية.

- فصل -

زعم الإيمان

سبب قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾

(النساء / 51)

عن عكرمة قال جاء حُيى بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم أنتم أهل الكتاب، وأهل العلم القديم، فأخبرونا عنا وعن محمد.

فقالوا:

ما أنتم وما محمد قالوا:

نحن ننحر الكوماء ونسقى اللبن على الماء، ونفك العانى، ونصل الأرحام ونسقى الحجيج وديننا القديم ودين محمد الحديث.

قالا بل أنتم خير منه وأهدى سبيلا فأنزل الله تعالى الآية.

كان كعب بن الأشرف وحيى بن أخطب رجلين من اليهود من بنى النضير لقيا قريشاً بالموسم فقال لهما المشركون.

أنحن أهدى أم محمد وأصحابه.

فإنا أهل السدانة والسقاية وأهل الحرم فقال بل أنتم أهدى من محمد فهما يعلمان انهما كاذبان إنما حملهما على ذلك حسد محمد وأصحابه فأنزل الله تعالى

﴿ أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ﴾

(النساء / 52)

فلما رجعا الى قومهما قال لهما قومهما إن محمداً يزعم أنه نزل فيكما كذا وكذا.

فقالا: صدق والله، ماحملنا على ذلك إلا بغضه وحسده.

أ.هـ

أقول:

وهذا في مجتمعنا الناس يرمون من اجتهد عن نفسه وأظهر علامات لِهَدى النبي ﷺ قام أهل الغفلة بالانكار عليه ويحرثونه بلسان الإحباط وكأنها سنة الذين خلوا من قبل نسمعهم يقولون هذا تطرف ماله فلان أنه معتدل عد إلى رشدك ويحبذون المتفهيقين المتشدقين أصحاب اللحى. ومخالطة النساء وهذا بزعمهم أهدى من الذين قالواً: إنا أهل السنة. وهذا كله لايأتي إلا بسبب الأخذ بأسباب الباطل ونحو ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل يامسلمين.

سبب قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى الطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلاً بَعِيداً ﴾

(النساء / 60)

الآية أنزلت في رجل من الأنصار يقال له قيس وفي رجل من اليهود وفي مماراة كانت بينهما في حق تدارا فيه فتنافرا إلى كاهن بالمدينة ليحكم بينهما وتركا نبي الله ﷺ فعاب الله تعالى ذلك عليهما وكان اليهودي يدعوه إلى نبي الله وقد علم انه لن يجور عليه وجعل الأنصاري يأبى عليه.

وهو يزعم انه مسلم فيدعوه إلى الكاهن فأنزل الله تعالى ماتسمعون وعاب على الذي يزعم أنه مسلم وعلى اليهودي الذي هو من أهل الكتاب فقال

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً ﴾

(النساء / 61)

- فصل -

البيعة الكبرى

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾
(التوبة / 111)[68]

قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً قال عبد الله بن رواحة:

يارسول الله اشترط لربك ولنفسك ماشئت فقال:

اشترط لربى أن تعبدوه، ولاتشركوا به شيئا، وأشترط لنفسى، أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم قالوا: فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا قال:

الجنة قالوا:

ربح البيع لانقيل ولانستقيل فنزلت هذه الآية

أ.هـ

أقول:

أبشر ياأخى وابشرى ياأختاه هل عبدنا الله وحده لاشريك له؟

هل أصبح النبى ﷺ أحب إلينا من أنفسنا؟

---

(68) قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرءان ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾.

فحين ذاك ربح البيع. هذا الكلام للمؤمنين المسلمين لاغيرهم ليس فيه معنى واحد لأدعياء الإسلام الذين ورثوا الإسلام عن آبائهم ولأدعياء الإسلام بزعمهم.

وإنما الذين قالوا بعنا أنفسنا لربنا.

سبب قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ﴾ (الممتحنة / 10) [69]

قال ابن عباس:

إن مشركى مكة صالحوا رسول الله ﷺ عام الحديبية على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم ومن أتى أهل مكة من أصحابه فهو لهم وكتبوا بذلك الكتاب وختموه فجاءت سُبيعة بنت الحرث الأسلمية، بعد الفراغ من الكتاب، والنبى ﷺ بالحديبية.

فأقبل زوجها وكان كافراً فقال:

يامحمد رد على امرأتى فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا، هذه طينة الكتاب، لم تجف بعد، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

عن الزهرى قال:

دخلت على عروة بن الزبير، وهو يكتب كتاباً إلى ابن هند صاحب الوليد بن عبد الملك يسأله عن قوله:

---

(69) قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين ءامنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلاترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهم وءاتوهم ما أنفقوا ولاجناح عليكم أن تنكحوهن إذا ءاتيتموهن أجورهن ولاتمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾.

﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ الْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فامتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ﴾

(الممتحنة / 10)

قال: وكتب إليه أن رسول الله ﷺ صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه فلما هاجرت النساء، ابى الله تعالى أن يرددهن إلى المشركين إذا هن امتحن فعرفوا انهن إنما جئن رغبة فى الاسلام برد أصدقَاتِهن إليهم إذا احتبس عنهم أذاهم ردوا على المسلمين أصدقةُ من حَبسوا من نسائهم قال. وذلك حكم الله يحكم بينكم فأمسك رسول الله ﷺ النساء ورد الرجال.

أ.هـ

أقول:

هذا لضعف النساء، والله لطيف بالعباد، ماأجمله، وماأروعه، هذا البيان القرآنى إن الرجال يستطيعون أن يتحملوا أمر الله، وأما النساء لضعفهن قد تولى الله قضيتهن وهو أعلم بأحوالهن، ولنا فى رسول الله أسوة حسنة فالمسلم يتزوج بغير المسلمة، وأما المسلمة لاتتزوج بغير المسلم لأن المرأة فى سلطان الرجل، والإسلام يعلو ولايُعلى عليه[70] فإن خرجت المؤمنة مهاجرة وذهبت إلى المسلمين فعلى حاكم المسلمين أن يمسكها ولايرجعها إلى الكفار ولكن هذا شرط بعد الإمتحان.[71]

---

(70) راجع تفسير سورة الممتحنة لابن كثير..

(71) عن مالك عن ابن شهاب: أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت تحت عكرمة بن أبى جهل فأسلمت يوم الفتح. وهرب زوجها عكرمة بن أبى جهل من الإسلام حتى قدم اليمن فارتحلت أم حكيم. حتى قدمت عليه باليمن فدعته إلى الإسلام. فأسلموا وقدم رسول الله ﷺ عام الفتح فلما رآه رسول الله ﷺ وثب إليه فرحاً. وما عليه رداء حتى بايعه فثبتا على نكاحهما ذلك.
قال مالك: وإذا أسلم الرجل قبل امرأته. وقعت الفرقة بينهما. وإذا عرض عليها الإسلام فلم تسلم. لأن الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه ﴿ولاتمسكوا بعصم الكوافر﴾.
من كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس رضى الله عنه باب (ولاتمسكوا بعصم الكوافر) راجع (التوبة/24)، (الممتحنة/10)، (المجادلة/22).

- فصل -

خشية الله سبب البراءة

سبب قوله تعالى :

﴿ لَّاتَجِدُ قَوماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَن حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

(المجادلة / 22) (72)

قال ابن جريج:

إن أبا قحافة سب النبى ﷺ فصكه أبو بكر صكة شديدة سقط منها ثم ذُكر للنبى ﷺ قال:

أو فعلته. قال. نعم، قال: فلا تعد إليه، فقال أبو بكر: لو كان السيف قريباً منى لقتلته.

فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية.

وعن ابن مسعود أنه قال:

نزلت هذه الآية فى أبى عبيدة الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد وفى أبى بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز فقال:

يارسول الله دعنى أكن فى الرعلة الأولى فقال رسول الله ﷺ متعنا

---

(72) قوله تعالى: ﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ءاباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾.

بنفسك ياأبا بكر. أما تعلم أنك عندى بمنزلة سمعى وبصرى وفى مصعب بن عمير رضى الله عنه:

قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد. وفى عمر - رضى الله عنه - قتل خاله العاص ابن هشام بن المغيرة يوم بدر

وفى عَلىّ وحمزة - رضى الله عنهما - قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر وذلك قوله

﴿ لَّاتَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَن حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَو كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُم أَو أَبنَآءَهُم أَو إِخوٰنَهُم أَو عَشِيرَتَهُم ﴾

(المجادلة / 22)

اقول:

هؤلاء الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه وقال الله فيهم

﴿ ذَٰلِكَ لِمَن خَشِىَ رَبَّهُ ﴾

(البينه / 8)

أما أنتم فمن بذل وضحى منكم؟

من منكم هانت عليه داره وأهله ووطنه؟

من منكم هان عليه تكفير جاره إن كان على غير الإسلام؟

بل قمتم بالجهل

عذرتم به وهان عليكم دينكم

أقول:

يامن عقلتم تفهموا القرآن

وروائع البيان

فأين أنتم؟

يا من تعذرون بالجهل أين العذر

من حكم عليه القرآن بأنه كاذب لايكون معذوراً. (73)

لايقول المسلم لأخيه المسلم ياكافر

عن ابن عمر: أن النبى ﷺ قال: [إذا أكفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما] (74)

وعن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول:

قال رسول الله ﷺ: [أيما امرىء قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه] (75)

وعن النبى ﷺ أنه قال:

[القضاة ثلاثة: واحد فى الجنة واثنان فى النار فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به. ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار] (76)

---

(73) من كتاب العذر بالجهل بدعة الخلَف لمحمد سعيد البدرى ص52.

(74) صحيح مسلم جـ1 صـ44.

(75) صحيح مسلم جـ1 ص44.

(76) رواه أبو دواود والترمذى وابن ماجه..

- فصل -

حادثة الإفك

سبب قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَآءُو بِالإِفكِ عُصبَةٌ مِّنكُم ﴾

(النور / 11) [77]

أخبر أبو الحسن على بن محمد المقرىء

عن عائشة زوج النبى ﷺ حين قال فيها أهل الإفك [78] ماقالوا فبرأها الله تعالى منه قال الزهرى:

وكلهم حدثنى طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض واتيت اقتصاصاً ووعيت عن كل واحد الحديث الذى حدثنى وبعض حديثهم يصدق بعضاً ذكروا:

أن عائشة – رضى الله عنها – زوج النبى ﷺ قالت:

كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه قالت عائشة – رضى الله عنها :

فأقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت مع رسول الله ﷺ وذاك بعد مانزلت آية الحجاب.

---

(77) قوله تعالى: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شراً لكم بل هو خيراً لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

(78) الإفك : الكذب والإفتراء والأباطيل.

فأنا أُحمل فى هودجى وأنزل فيه مسيرنا حتى فرغ رسول الله ﷺ من غزوته وقفل ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل ومشيت حتى جاوزت الجيش.

فلما قضيت شأنى أقبلت إلى الرحل فلمست صدرى فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون فحملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون أنى فيه قالت عائشة وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلن ولم يغشهن اللحم إنما أكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا.

ووجدت عُقدى بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولامجيب فتيممت منزلى الذى كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوننى فيرجعوا إلى فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عيناى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى الذكوانى قد عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلى فرأى سواد إنسان نائم فأتانى وعرفنى حين رآنى وقد كان يرانى قبل أن يُضرب على الحجاب.

فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى والله ماكلمنى بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطىء على يدها فركبتها.

فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد مانزلوا موغرين فى نحر الظهيرة وهلك من هلك فىّ.

وكان الذى تولى كبره منهم عبد الله بن أُبى بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهراً.

والناس يفيضون فى قول أهل الإفك ولاأشعر بشىء من ذلك ويريبنى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى.

إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول:

كيف تيكم؟ (79) فذلك يحزننى ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معى أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنيف قريباً من بيوتنا.

وأمرنا أمر العرب الأول فى التنزه.

وكنا نتأذى بالكنيف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهى بنت أبى رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب.

فأقبلت أنا وابنة أبى رهم قبل بيتى حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح فى مَرطِها فقالت:

تعس مسطح فقلت لها:

بئسما قلت أتسبين رَجُلاً قد شهد بدراً قالت:

أى هنتاه أولم تسمعى ماقال قلت وماذا قال فأخبرتنى بقول أهل الإفك فازددتُ مرضاً إلى مرضى.

فلما رجعت الى بيتى ودخل عَلَيّ رسول الله ﷺ ثم قال:

كيف تيكم؟ قلت:

(79) كيف تيكم : أى كيف حالكم.

تأذن لى أن آتى أبوىّ قالت وأنا أريد حينئذ ان أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لى رسول الله ﷺ فجئت أبواى فقلت:

ياأماه بما يتحدث الناس قالت يابنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل ولها ضرائر إلا أكثرن عليها فقلت:

سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا:

فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لايرقأ لى دمع ولاأكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى.

ودعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين أستليث الوحى يستشيرهُما فى فراق أهله فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله بالذى يعلم فى نفسه لهم من الود فقال يارسول الله هم أهلك ومانعلم إلا خيراً وأما على بن أبى طالب فقال:

لم يضيق الله تعالى عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك قالت:

فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بُريرة فقال:

يابُريرة هل رأيت شيئاً يريبك من عائشة قالت بريرة:

والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله قالت:

فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أُبى بن سلول، فقال وهو على المنبر:

يامعشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى فوالله ما علمت من أهلى إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ماعلمت عليه إلا خيراً وماكان

يدخل على أهلى إلا معى فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال:

يارسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج ففعلنا أمرك قال:

فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ:

كذبت لعمر الله لاتقتله ولاتقدر على قتله فقام أُسيد بن حُضير وهو ابن عم سعد ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة!

كذبت لنقتلنه إنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان من الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت:

وبكيت يومى ذلك لايرقأ لِي دمع، ولاأكتحل بنوم، وأبواى يظنان أن البكاء فالق كبدى:

فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى إذا استأذنت عَلَيّ امرأة من الأنصار فأذنت لها وجلست تبكى معى قالت:

فبينما نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ ثم جلس ولم يجلس عندى منذ قيل لى ماقيل وقد لبث شهراً لايوحى إليه فى شأنى شيء:

فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال:

أما بعد ياعائشة، فإنه بلغنى عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممتِ بذنب فاستغفريِ الله وتوبى إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه:

فلما قضى رسول الله ﷺ فيما قال قالت:

والله ماأدرى ماأقول لرسول الله فقلت لأمى: أجيبى رسول الله فقالت:

والله ماأدرى ماأقول لرسول الله فقُلت وأنا جارية حديثة السن لاأقرأ كثيراً من القرآن والله لقد عرفت إنكم سمعتم هذا وقد استقر فى نفوسكم فصدقتم به ولئن قلت لكم إنى بريئة.

والله يعلم أنى بريئة.

لاتصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقونى والله ماأجد لى ولكم مثلاً إلا ما قال أبو يوسف (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون):

ثم تحولت واضطجعت على فراشى:

وانا والله حينئذ أعلم أنى بريئة وأن الله مبرئنى ببراءتى ولكن والله ماكنت أظن أن ينزل فى شأنى وَحىٌ يُتلى، ولشأنى كان أحقر فى نفسى من أن يتكلم الله تعالى فىّ بأمر يتلى ولكنى كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئنى الله تعالى بها:

فوالله ما رام رسول الله ﷺ منزله ولاخرج من أهل البيت أحد حتى انزل الله تعالى على نبيه جبريل عليه السلام وأخذه ما كان ياخذه من البرحاء عند الوحى حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاتى من ثقل القول الذى أنزل عليه:

فلما سرى عن رسول الله ﷺ سرى عنه وهو يضحك وكان أول كلمة تكلم بها أن قال البشرى ياعائشة أما والله لقد برأك الله فقالت لى أمى: قومى إليه فقلت:

والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله سبحانه وتعالى هو الذى برأنى، قالت

فأنزل الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَآءُو بِالإِفْكِ عُصبَةٌ مِّنكُم ﴾

(النور / 11)

العشر الآيات فلما أنزل الله تعالى هذه الآية فى براءتى قال الصديق:

وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لاأنفق عليه شيئاً ابداً بعد الذى قال لعائشة ما قال فأنزل الله تعالى:

﴿ وَلَايَأْتَلِ أُوْلُواْ الفَضلِ مِنكُم وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوَاْ أُوْلِى الْقُربَىٰ وَالمَسَـٰكِينَ وَالمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعفُواْ وَلْيَصفَحُواْ أَلَاتُحِبُّونَ أَن يَغفِرَ اللَّهُ لَكُم ﴾

(النور / 22) [80]

فقال أبو بكر

والله إنى أحب أن يغفر الله لى فرجع إلى مسطح النفقة التى كانت عليه وقال لا أنزعها منه أبداً رواه البخارى ومسلم وكلاهما عن أبى الربيع الزهرانى.

أقول:

انظروا هذه أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – وانظروا فى أم عيسى ابن مريم عليهما السلام.

إنه البلاء إنه البذل والعطاء إنها القدوة الحسنة للنساء فأشد النساء بلاء نساء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل صدقت يارسول الله يامعلم الإنسانية تبتلى

(80) قوله تعالى: ﴿ولايأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾.

فى أحب الناسِ إليك.

فرضوان الله عليك ياأمى عائشة.

وكأنه درس لكل القانتات العفيفات وصدق الله تعالى القائل:

﴿ يَـٰنِسَآءَ النَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَآءِ ﴾

(الأحزاب / 32)[81]

نعم ياأمى يازوج رسول الله ﷺ كان هذا مثلاً لو توجنا به لنتعلـ[illegible]
بكِ حين ذاك وأنتِ المرأة الضعيفة ولكنك الصديقة بنت الصديق هذا درس
إليك ياأختاه تأسى وتعلمى واحفظى عن أمك عائشة وافهمى

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾

(العنكبوت / 2)

---

(81) قوله تعالى: ﴿يانساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلاتخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً﴾.

- فصل -

دفاع الله

سبب قوله:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُم ظُلِمُوا ﴾
(الحج / 39)[82]

قال المفسرون:

كان مشركوا مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون يجيئون من مضروب ومشجوج فشكوهم إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الاية.

وقال ابن عباس:

لما أُخرج رسول الله ﷺ من مكة قال أبو بكر – رضى الله عنه – فأنزل الله تعالى الآية قال أبو بكر فعرفت أنه سيكون قتال.

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُم ظُلِمُوا ﴾
(الحج / 39)
أ.هـ

أقول:

الصبر على الاستضعاف لما سبق ذكره حتى يأتى وقت وأذن من الله بالقتال فسوف يكون المقاتلين المسلمين المظلومين فى الوقت السابق

(82) قوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾.

سيقاتلون لما فى قلوبهم من صبر فسبحان الله!

إنه النصر بإذن الله

- فصل -

البراءة

سبب قوله تعالى:

﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُم لَايَأْلُونَكُم خَبَالاً وَدُّواْ مَاعَنِتُّم قَد بَدَتِ البَغضَآءُ مِن أَفوَٰهِهِم وَمَاتُخفِى صُدُورُهُم أَكبَرُ قَد بَيَّنَّا لَكُمُ الأَيَـٰتِ إِن كُنتُم تَعقِلُونَ * هَـٰأَنتُم أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُم وَلَايُحِبُّونَكُم وَتُؤمِنُونَ بِالكِتَـٰبِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُم قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَواْ عَضُّواْ عَلَيكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيظِ قُل مُوتُواْ بِغَيظِكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِن تَمسَسكُم حَسَنَةٌ تَسُؤهُم وَإِن تُصِبكُم سَيِّئَةٌ يَفرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَايَضُرُّكُم كَيدُهُم شَيئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾

(آل عمران 120:118)

قال ابن عباس ومجاهد:

نزلت فى قوم من المؤمنين كانوا يصادقون المنافقين ويواصلون رجالا من اليهود لَمَا كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع، فأنزل الله تعالى، هذه الآية.

ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم.

أقول:

وقفة مع النفس تأملات فى تلك الآيات ينهى الله تعالى عن مباطنة غير المؤمنين فما بالكم فيمن جعلوا ديارهم فى أيدى غير المسلمين بل جعلوهم أصحاب نفوذ ويتحكموا فى أعراض المسلمين وأموالهم وحسبى الله ونعم الوكيل.

- فصل -

جزاء المحاربين

سبب قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسعَونَ فِى الأَرضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَو يُصَلَّبُوٓاْ أَو تُقَطَّعَ أَيدِيهِم وَأَرجُلُهُم مِن خِلَـٰفٍ أَو يُنفَواْ مِنَ الأَرضِ ذَٰلِكَ لَهُم خِزىٌ فِى الدُّنيَا وَلَهُم فِى الأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(المائدة / 33)

عن قتادة عن أنس أن رهطاً من عكل وعرينة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يارسول الله:

إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود أن يخرجوا فيها فليشربوا من ألبانها وأبوالها فقتلوا راعى رسول الله ﷺ واستاقوا الذود.

فبعث رسول الله ﷺ حتى أثارهم[83] فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم فتركوا فى الحرة حتى ماتوا على حالهم.

قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فيهم.

رواه مسلم عن عبيد الأعلى عن سعيد إلى قول قتادة أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبيد الله المخلدى قال حدثنا أبو عمرو بن نجيد قال أخبرنا مسلم قال حدثنا عبدالرحمن بن حماد - قال حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة..... الخ.

أ.هـ

أقول:

لو تأملنا تلك الفعلة التى استحقت هذا العقاب فما جزاء الذين يعطون تصاريح الخمور ورخص الزنا وحراس الأماكن التى فيها يحارب الله تعالى فما جزاؤهم إلى الله المشتكى وحسبنا الله ونعم الوكيل.[84]

---

(83) تتبع آثراهم.

(84) إن كل طائفة ممتنعة عن شريعة واحدة من شرائع الإسلام الظاهرة، أو البطانة المعلومة، فإنه يجب قتالها، فلو قالوا، نشهد ولانصلى قوتلوا حتى يُصلوا ولو قالوا: نصلى ولانُزكى قوتلوا حتى يُزكوا ولو قالوا: نُزكى ولانصوم ولانحج قوتلوا حتى يصوموا رمضان. ويحجون البيت ولو قالوا: نفعل هذا لكن لاندع الربا ولاشرب الخمر؟ ولا الفواحش؟ ولانجاهد فى سبيل الله ولانضرب الجزية على اليهود والنصارى؟ ونحو ذلك؟ قوتلوا حتى يفعلوا ذلك. كما قال تعالى:
﴿وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله﴾ (سورة البقرة/193)
وقد قال تعالى: ﴿ياأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ (سورة البقرة/278:279)
فإذا كان الذين يقومون الليل؟ ويصومون النهار؟ ويقرأون القرآن أمر النبى ﷺ بقتالهم لأنهم فارقوا السنة والجماعة. فكيف بالطوائف الذين لايلتزمون بشرائع الإسلام وإنما يعملون بياسق ملوكهم. وأمثال ذلك. والله اعلم.
هذا كلام بن تيمية من كتاب الفتاوى جـ2..

سبب قوله تعالى:

﴿ صٓ وَالقُرءَانِ ذِى الذِّكرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾

(ص / 2:1)

قال المفسرون:

لما أسلم عمر بن الخطاب شق ذلك على قريش وفرح المؤمنين قال الوليد بن المغيرة لهلاص قريش وهم الصناديد والأشراف امشوا إلى أبى طالب فأتوه فقولوا له أنت شيخنا وكبيرنا قد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وإنا أتيناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك.

فأرسل أبوطالب إلى النبى ﷺ فدعاه فقال:

يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك ذا السؤال فلا تمل كل الميل على قومك قال:

وماذا يسألونى قالوا:

ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال النبى ﷺ:

أتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبوجهل:

لله أبوك لتعطينكها وعشر أمثالها فقال النبى ﷺ:

قولوا لا إله إلا الله فنفروا من ذلك فقاموا فقالوا: أجعل الألهة إلهاً واحداً كيف يسع الخلق كلهم إله واحد فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآيات

﴿ كَذَّبَت قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرعَونُ ذُو الأَوتَادِ ﴾
(ص / 12)

أقول:

ولو تأملنا هنا وتفهمنا معنى لا إله إلا الله لعلمنا أنها ليست كلمة فقط ولو أنها كلمة ما امتنع عنها هؤلاء المشركون الأوائل.

وأما أهل هذا العصر لم يعوا مدلولها فقالوها وجعلوا الألهة مع الله ولم يجعلوه إله واحد وغلووهم فى الصالحين.

إن جميع الصالحين الذين يدعوهم المشركون ويستغيثون بهم إما توسلاً إلى الله ليقضى حوائجهم وإما استقلالا بأن يطلبوا منهم قضاء الحاجة معتقدين بأن الله وهبهم التكوين والتصرف؟ أولئك الصالحون مشتغلون بأنفسهم يدعون الله ويتوسلون إليه بعبادته مخلصين له الدين خائفين عذابه راجين رحمته وإذا لم يملكوا لأنفسهم نفعاً ولادفع ضر فكيف يملكون لغيرهم ضراً أو نفعاً؟

.وأنظر قوله تعالى

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدعُونَ يَبتَغُونَ إِلَىٰ رَبِهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقرَبُ وَيَرجُونَ رَحمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحذُوراً ﴾
(الإسراء / 57)

ولايخفى مايحدث فى أحدى الدول كمصر والعراق وسوريا..... الخ.

ومايذكر فى مصر مسجد نفيسة وزينب وعائشة وهم مبرؤن مما فيه،

والبدوى والأضرحة التى بالأزقة والمقابر بحى يسمى الدراسة.[85]

- فصل -

بيان الاضطرار

سبب قوله تعالى:

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعدِ إِيمَٰنِهِ ﴾

(النحل / 106)[86]

قال ابن عباس:

نزلت فى عمار بن ياسر وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسراً وأمه سمية وصهيبا وبلالاً وخباباً وسالماً فأما سمية فإنها رُبِطَت بين بعيرين وجىء فى قُبلِهَا بحربة وقيل لها إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين قتلا فى الإسلام.

وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً فأخبر النبى ﷺ بأن عماراً كفر فقال:

كلا إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه وأخلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكى فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه وقال: إن عادوا لك فعد لهم بما قلت

فأنزل الله تعالى هذه الآية

---

(85) راجع كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ص317.

(86) قوله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾.

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعدِ إِيمَٰنِهِ ﴾

(النحل / 106)

وقال مجاهد:

نزلت فى ناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم المسلمون بالمدينة أن هاجروا فإنا لانراكم منا حتى تهاجروا إلينا فخرجوا يريدون المدينة فـ ـرَكتهم قريش بالطريق ففتنوهم مكرهين وفيهم نزلت هذه الآية.

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعدِ إِيمَٰنِهِ إِلَّا مَن أُكرِهَ وَقَلبُهُ مُطمَئِنٌّ بِالإِيمَـٰنِ ﴾

(النحل / 106)

أقول:

أولا: هناك تقية باللسان وليست بالعمل وهناك إكراهاً وما الفرق بين الإكراه والتقية؟

هذا لفظ لمن خشى من حوله والقلب يطمئن بالإيمان ولايجوز له أن يتلفظ بالكفر وأما المكره تحت وطأة السلاح تحت من لايطيقه وليس تحت التهديد والوعيد بالألفاظ ولننظر فى ابتلاء بلال حتى يجر على رمضاء مكة ويقول أحد أحد.

إلى أن تعبوا من يقومون بتعذيبه وتمنوا من بلال أنه لو ذكر آلهتهم مرة لتركوه وأما عمار جزاه الله خيراً حين نطق لسانه فكيف كان هو بجسده فلا ينبغى لأصحاب الاحتراف فى التأويل أن يتطاولوا ولاينبغى أن يخضعونا لفهمهم وتأويلاتهم فالنص واضح إلا من أكره؟

ويقول ابن عباس: التقية باللسان

- فصل -

إنقاذ الغريق والرد على الزنديق

سبب قوله تعالى:

﴿ قَالَتِ الأَعرَابُ ءَامَنَّا ﴾

(الحجرات / 14)

نزلت في أعراب من بنى أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ فى سنة جدبة وأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين فى السر وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ أتيناك بالأنفال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطينا من الصدقة وجعلوا يمنون عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فيهم

﴿ قَالَتِ الأَعرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّم تُؤمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسلَمنَا وَلَمَّا يَدخُلِ الإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُم ﴾

(الحجرات / 14)

أقول:

هذه الآية فيها رد شافي وجواب كافى لمن أراد الدواء الشافى من الذين يقولون إننا مسلمون وليس مؤمنين محتجين بهذه الآية.

على أن الله قال لهم

فلو نظرنا فى قوله تعالى:

﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ ﴾
(آل عمران / 102)

﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادخُلُوا فِى السِّلمِ كَآفَّةً ﴾
(البقرة / 208)

لفهمنا أن الذى تكلم باللسان بحلو الكلام وانعقد القلب، بغير ذلك صار منهم منافقاً. فما بالكم بأقوام فى عصرنا هذا يقولونها بألسنتهم ويضمونها فى ظاهرهم وانظر قول حسن البصرى. (87)

«ليس الإيمان بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل»

أو كما قال وهنا تنقطع الشبهة عند أصحاب الجهل بهذه الحقيقة «حقيقة القرآن».

(87) «ليس الإيمان بالتحلى ولابالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل» قال أيضاً مازال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر وبالتفكر على التذكر ويناطقون القلوب حتى نطقت فإذا لها أسماع وأبصار فنطقت بالحكمة وأورثت العلم
قول الحسن البصرى من كتاب حد الإسلام ص197
وقد سئل سهل بن عبد الله التسترى عن الإيمان ما هو؟
فقال: هو قول وعمل ونية وسنة. لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل. فهو كفر. وإذا كان قولاً وعملاً بلانية فهو نفاق وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة.
التسترى: صوفى كبير ولد فى تستر الأهواز وتوفى منفياً بالبصرة عام «283هـ» له «تفسير القرآن العظيم».

- فصل -

البينة فى القتال

سبب قوله تعالى:

﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُم فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَاتَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيكُمُ السَّلَـٰمَ لَستَ مُؤمِناً تَبتَغُونَ عَرَضَ الحَيَـٰوةِ الدُّنيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيكُم فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيراً ﴾
(النساء / 94)

عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس:

قال لحق المسلمون رجلا فى غنيمة له فقال السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته فنزلت هذه الآية.

وأيضاً:

عن عكرمة عن ابن عباس:

مر رجل من سليم على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا ماسلم عليكم إلا ليتعوذ منكم وقاموا اليه فقتلوه وأخذوا غنمه وأتوا بها رسول الله ﷺ فأنزل الله الآية.

عن سعيد بن جبير قال:

خرج المقداد بن الأسود فى سرية فمروا برجل فى غنيمة له فأرادوا قتله، فقال لا إله إلا الله فقتله المقداد فقيل له:

أقتلته وقد قال لا إله إلا الله وهو آمن فى أهله وماله فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له.

فنزلت الآية السابقة.

وقال الحسن:

إن أصحاب النبى ﷺ خرجوا يطوفون فلقوا المشركين فهزموهم فشد منهم رجل فتبعه رجل من المسلمين وأراد متاعه فلما غشيه السنان قال إنى مسلم إنى مسلم فكذبه ثم أوجره السنان.

فقتله وأخذ متاعه وكان قليلاً فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال:

قتلته بعد مازعم أنه مسلم فقال يارسول الله إنما قالها متعوذاً قال فهلا شققت عن قلبه لتنظر صادقا هو أم كاذبا؟

قال: قلت أعلم ذلك يارسول الله قال:

ويك إنك لم تكن تعلم ذلك إنما بين لسانه قال:

فما لبث القاتل أن مات فدفن فأصبح وقد وضع إلى جنب قبره قال:

ثم عادوا فحفروا له وأمكنوا ودفنوا فأصبح وقد وضع إلى جنب قبره مرتين أو ثلاثاً، فلما رأوه أن الأرض لاتقبله ألقوه فى بعض تلك الشعاب قال، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال السدى:

بعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على سرية فلقى مرداس بن نهيك الضمرى فقتله وكان من أهل فدك ولم يسلم من قومه غيره وكان يقول لا إله إلا الله ويسلم عليهم قال أسامة:

فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته فقال:

قتلت رجلاً يقول لا إله إلا الله فقلت يارسول الله إنما تعوذ من القتل فقال:

كيف أنت إذا خاصمك يوم القيامة بلا إله إلا الله قال:

فمازال يرددها على أقتلت رجلاً يقول لا إله إلا الله حتى تمنيت لو أن إسلامى كان يومئذ فنزلت الآية.

أ.هـ

أقول:

لابد أن نفهم هذه الآية إنها تخبرنا أنها كانت على أرض القتال بين المسلمين والمشركين وهذه الآية تأول فيها الكثير من أصحاب البدع فمنهم من قال، انها فى غير قتال ومنهم من قال إنها تفيد التوقف على كل حال ومنهم من قال، التوقف، متأولاً بهذه الآية حتى يتبين مع أن الآية صريحة بأنها فى القتال وإذا قال النص ضربتم فى الأرض فمعناها ابتغاء الرزق وإذا قال النص فى سبيل الله فإنه الجهاد «جهاد السيف» وهنا إذا قال العدو لا إله إلا الله وقال أسلمت أو نحو ذلك فيحرم دمه وماله ابتداءً حتى تبين منه وأما إذا كان فى الحضر وهو الواضح فلا إشكال على أن من قال لا إله إلا الله وأتى بما ينقضها فلا تنفعه مقولتها.

وانظر نواقض الإسلام العشرة. (88)

---

(88) نواقض الإسلام العشر: كتاب مجموعة التوحيد لابن تيمية وابن عبد الوهاب ص30:29

الأول: الشرك فى عبادة الله، قال تعالى: ﴿إن الله ...... من يشاء﴾ (النساء/48)

الثانى: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم، كفر اجماعاً.

الثالث: من لم يكفر المشركين، أو يشك فى كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع: من اعتقد ان غير هدى النبى ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به، كفر.

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول، أو ثوابه أو عقابه، والدليل قوله تعالى: (التوبة/65:66)

السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضى به كفر، والدليل قوله تعالى: (البقرة/102)

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين ءامنوا ...... أولياء﴾ (المائدة/51)

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج من شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر (الخروج) عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله، لايتعلمه ولايعمل به والدليل قوله تعالى: (السجدة/22)

ولافرق فى جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا مكره، كلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغى للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلى الله على خير خلقه وآله وصحبه وسلم..

- فصل -

الولاء

سبب قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾

(المائدة / 55)

قال جابر بن عبدالله جاء عبدالله بن سلام إلى النبى ﷺ فقال:

يارسول الله إن قوما من قريظة والنضير قد هاجرونا وفارقونا وأقسموا أن لايجالسونا ولانستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل وشكى مايلقى من اليهود فنزلت هذه الآية.

فقرأها عليه رسول الله ﷺ فقال:

رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء ونحو هذا قال الكلبى وزاد:

أن آخر الآية فى على بن أبى طالب - رضوان الله عليه - لأنه أعطى خاتمه سائلا وهو راكع فى الصلاة.

عن ابن عباس

قال:

أقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه قد آمنوا فقالوا:

يارسول الله إن منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولامتحدث وإن قومنا لما رأونا آمنا بالله ورسوله وصدقناه رفضونا وآلوا على أنفسهم أن لايجالسونا ولايناكحونا ولايكلمونا فشق ذلك علينا فقال لهم النبى ﷺ:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾

(المائدة / 55) [89]

ثم أن النبى ﷺ خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع فنظر سائلاً فقال:

هل أعطاك أحد شيئاً قال نعم خاتم من ذهب قال من أعطاكه قال:

ذلك القائم وأومأ بيده إلى على بن أبى طالب – رضى الله عنه – فقال: على أى حال أعطاك قال: أعطانى وهو راكع فبكى النبى ﷺ ثم قرأ

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَـٰلِبُونَ ﴾

(المائدة / 56)

أقول:

حين أشار بيده والمراد بأن على – رضى الله عنه – صاحب الخاتم فهذا قبل تحريم الذهب على الرجال وإن شئت راجع تاريخ نزول الآية وزمن الحديث بتحريم الذهب على ذكور هذه الأمة.

(89) قوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾.

- فصل -

البراء

سبب قوله تعالى:

﴿ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَـٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ * قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدَاً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ * قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(آل عمران / 31:28)

قال ابن عباس:

كان الحجاج بن عمرو وكهمس بن أبي الحقيق وقيس بن زيد وهؤلاء كانوا من اليهود يتباطئون نفراً من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبدالله بن جبير وسعيد بن خثيمة لأولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم وهو باطنهم ليفتنوكم عن دينكم فأبى أولئك النفر ألا يفعلوا فأنزل الله تعالى هذه الآية.

(آل عمران / 31:28)

وقال الكلبى:

نزلت فى المنافقين عبدالله بن أبى وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار ويريدون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ.

وقيل نزلت فى عبادة بن الصامت الأنصارى وكان بدرياً نقيباً وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبى ﷺ يوم الأحزاب قال عبادة يانبى الله إن معى خمسمائة رجل من اليهود وقد رأيت أن يخرجوا معى فأستظهر بهم على العدو.

فأنزل الله تعالى هذه الآيات السابقة.

سبب قوله تعالى

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾
(المائدة / 51) [90]

قال عطية العوفى:

جاء عبادة بن الصامت فقال:

يارسول الله إن لى موالى من اليهود كثير عددهم حاضر نصرهم وإنى أبوء إلى الله ورسوله من ولاية اليهود وآوى إلى الله ورسوله فقال عبدا لله بن أبى بن سلول:

إنى أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية اليهود فقال رسول الله ﷺ:

(90) قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين ءامنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدى القوم الظالمين * فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين﴾.

يا أبا الحباب ماتجلب به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال: قد قبلت فأنزل الله تعالى فيهما

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَايَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِىَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٍ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمۡ نَـٰدِمِينَ ﴾

(المائدة / 51:52)

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعنى عبد الله بن أبى بن سلول ﴿يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ وفى ولايتهم.

أ.هـ

يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة.

أقول:

وفى زماننا أشباه لهؤلاء حتى منهم من ينفق الأموال ليجعل ابنه خريج كلية كذا مبتغياً بذلك أن يرفع شأنه فى الدنيا ربما على أهله أو على جيرانه أو على سكان الحى الذى يسكنه فأولى لنا أن نعمل لقوله تعالى:

﴿ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ..... ﴾

(الشورى / 15)

سبب قوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَستَغفِرُواْ لِلمُشرِكِينَ وَلَو كَانُوٓاْ أُوْلِى قُربَىٰ مِن بِعدِ مَاتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُم أَصحَـٰبُ الجَحِيمِ ﴾

(التوبة / 113)

أخبر أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى، أخبرنا محمد بن عبدالرحمن بن ضميرويه الهروى أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الخزاعى حدثنا أبواليمان قال: أخبرنى شعيب عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال:

لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبوجهل وعبد الله بن أبى أمية فقال:

أى عم قل معى لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبوجهل وعبدالله بن أبى أمية:

يا أباطالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فقال أنا على ملة عبد المطلب فقال النبى ﷺ لاستغفرن لك ما لم أنه عنه فنزلت الآية.

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَستَغفِرُواْ لِلمُشرِكِينَ وَلَو كَانُوٓاْ أُوْلِى ﴾

(التوبة / 113)

رواه البخارى عن اسحق بن إبراهيم عند عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى ورواه مسلم عن حرملة عن أبى وهب عن يونس كلاهما عن الزهرى.

أنه لما اشتكى أبو طالب شكواه التى قبض فيها قالت له قريش:

يا أبا طالب أرسل إلى ابن أخيك فيرسل إليك من هذه الجنة التى ذكرها تكون لك شفاء فخرج الرسول حتى وجد رسول الله ﷺ وأبا بكر جالساً معه فقال يامحمد إن عمك يقول إنى كبير ضعيف سقيم فأرسل إلى من جنتك هذه التى تذكر من طَعَمها وشَرَابها شيئاً يكون لى فيه شفاء.

فقال أبوبكر:

إن الله حرمها على الكافرين فحملوا أنفسهم عليه حتى أرسل رسولاً من عنده فوجد الرسول فى مجلسه فقال له مثل ذلك فقال له رسول الله ﷺ:

إن الله حرم على الكافرين طعامها وشرابها ثم قام فى أثر الرسول حتى دخل بيت أبى طالب فوجده مملوءاً رجالاً فقال خلوا بينى وبين عمى فقالوا:

مانحن بفاعلين ما أنت أحق منا إن كانت لك قرابة فلنا قرابة مثل قرابتك فجلس إليه فقال ياعم جزيت عنى خيراً، ياعم أعنى على نفسك بكلمة واحدة أشفع لك بها عند الله يوم القيامة قال:

وماهى ياابن أخى؟ قال: قل لا إله إلا الله وحده لاشريك له فقال:

إنك لى ناصح والله لولا أن تعير بها فيقال جزع عمك من الموت، لأقررت بها عينك قال:

فصاح القوم يا أبا طالب أنت رأس الحنيفية ملة الأشياخ فقال:

لاتحدث نساء قريش أن عمك جزع عند الموت فقال رسول الله ﷺ:

لا أزال أستغفر لك ربى حتى يردنى فاستغفر له بعدما مات، فقال المسلمون: مايمنعنا أن نستغفر لابائنا ولذوى قراباتنا، قد استغفر إبراهيم لأبيه، وهذا محمد ﷺ يستغفر لعمه فاستغفروا للمشركين حتى نزل

ماكان للنبى

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَستَغفِرُوا۟ لِلمُشرِكِينَ وَلَو كَانُوٓا۟ أُوْلِى ﴾

(التوبة / 113)

عن عبد الله بن مسعود قال:

خرج رسول الله ﷺ ينظر فى المقابر وخرجنا معه فأخذنا مجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فناجاه طويلا ثم ارتفع وجئنا ورسول الله ﷺ باك فبكينا لبكاء الرسول ﷺ ثم إنه أقبل إلينا فتلقاه عمر بن الخطاب فقال:

يارسول الله ما الذى أبكاك فقد أبكانا وأفزعنا فجاء فجلس إلينا فقال:

أفزعكم بكائى فقلنا نعم قال:

إن القبر الذى رأيتمونى أناجى فيه قبر آمنة بنت وهب وإنى استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى فيها واستأذنت ربى فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فيه، ونزل قول تعالى:[91]

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَستَغفِرُوا۟ لِلمُشرِكِينَ وَلَو كَانُوٓا۟ أُوْلِى ﴾

(التوبة / 113)

---

(91) راجع ابن كثير القصة مطولة جـ2 ص392:394.

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾

(التوبة / 114)[92]

فأخذنى مايأخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذى أبكانى.

أ.هـ

أقول:

لابد من التأمل فى تلك الآيات البينات وليتأمل معنا من زعم أن كلمة لا إله إلا الله تلفظاً تجزى فى دخول الجنة لو كان ذلك ولو أنها كلمة حقيقية على اللسان لنطق بها الذى كان يدفع عن النبى ﷺ أذى المشركين والذى كان يقول لن يصلوا إليك مادمت حياً ولايخفى عليكم فعل عم النبى ﷺ معه فيتبين لنا ويتضح من هذا المشهد أنه لم ينفعه كل هذا مع كونه لم يتلفظ وكان اللفظ يكمل العمل إذن، لو سعينا دون التلفظ فلا ولو تلفظنا دون العمل فلا، إذن فلابد من قائلها مع العمل بمدلولها وهنا يكون حقها فى عمل المسلم لمدلولها.

ولننظر فى نهى المولى عز وجل لرسوله الكريم حين نهاه عن الإستغفار لأمه وقوله سبحانه للخليل إبراهيم - عليه السلام - فى شأن أبيه أنى حرمت الجنة على الكافرين.

راجع بالترتيب مريم 47، الشعراء 86، التوبة 114، وانظر كتاب الأحاديث القدسية جـ2 ص135 «الجنة محرمة على الكافرين ولاتنفعهم قرابة».

---

(92) قوله تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾.

سبب قوله تعالى:

﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَّخِذُواْ عَدُوِى وَعَدُوَّكُم أَولِيَآءَ ﴾

(الممتحنة / 1)[93]

قال جماعة المفسرين

نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة وذلك أن سارة مولاة أبى عمر بن صهيب بن هشام ابن عبد مناف أتت رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة فقال لها:

أمسلمة جئتِ قالت: لا قال:

فما جاء بك قالت:

أنتم الأهل والعشيرة والموالى وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى قال لها:

فأين أنت من شباب أهل مكة وكانت مغنية قالت:

ماطلب من شيء بعد وقعة بدر.

فحث رسول الله ﷺ بنى عبد المطلب وبنى المطلب فكسوها وحمولها وأعطوها، فأتاها حاطب بن أبى بلتعة وكتب معها إلى أهل مكة، وأعطاها عشرة دنانير على أن توصل إلى أهل مكة وكتب فى الكتاب.

---

(93) قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين ءامنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾.

من حاطب إلى أهل مكة:

إن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام، فأخبر النبى ﷺ بما فعل حاطب فبعث رسول الله ﷺ عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد، وكانوا كلهم فرساناً وقال لهم:

انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن فيها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها – فإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى أدركوها فى ذلك المكان فقالوا لها:

أين الكتاب فحلفت بالله مامعها كتاب فقتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً فهموا بالرجوع، فقال عَلَيّ:

والله ماكذبنا ولاكذبنا وسل سيفه وقال:

أخرجى الكتاب وإلا والله لأجزرنك ولأضربن عنقك فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها قد خبأته فى شعرها فخلوا سبيلها.

ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فأتاه فقال له:

هل تعرف الكتاب قال: نعم قال:

فما حملك على ماصنعت فقال:

يارسول الله والله ماكفرت منذ أسلمت ولاغششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن:

لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريباً فيهم وكان أهلى بين ظهرانيهم فخشيت على أهلى فأردت أن اتخذ عندهم

يدا وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وكتابى لايغنى عنهم شيئاً فصدقه رسول الله ﷺ وعذره فنزلت هذه السورة.

﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُم أَولِيَآءَ ﴾ (الممتحنة / 1)

فقام عمر بن الخطاب فقال:

دعنى يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ:

ومايدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم.

أخبر محمد بن يعقوب بن على بن عبيد الله بن أبى رافع قال:

سمعت عليا يقول بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد قال:

انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن فيها ظعينة معها كتاب فقلنا لها لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب.

فأخرجته من عُقَاصِهاَ فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبى بلتعة الى ناس من المشركين ممن بمكة يُخبرُ بعض أمر النبى ﷺ فقال:

ما هذا ياحاطب قال:

لاتعجل على إنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من نفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها قراباتهم ولم يكن لى بمكة قرابة فأحببتِ إذ فاتنى ذلك أن أتخذ عندهم يدا والله مافعلته شكا فى دينى ولارضا بالكُفرِ بعد الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ:

إنه قد صدق، فقال عمر:

دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال:

إنه قد شهد بدراً ومايدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال:

اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ونزلت.

﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَّخِذُواْ عَدوِّى وَعَدُوَّكُم أَولِيَآءَ تُلقُونَ إِلَيهِم بِالمَوَدَّة ﴾

(الممتحنة / 1)

رواه البخارى عن حميد ورواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وجماعة كلهم عن سفيان.

قوله عز وجل:

﴿ لَقَد كَانَ لَكُم فِيهِم أُسوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرجُواْ اللَّهَ وَاليَومَ الأَخِرَ ﴾

(الممتحنة / 6)

يقول الله تعالى للمؤمنين:

لقد كان لكم فى إبراهيم ومن معه من الأنبياء والأولياء اقتداء بهم فى معاداة ذوى قراباتهم من المشركين فلما نزلت هذه الآية عادى المؤمنين أقرباءهم المشركين فى الله وأظهروا لهم العداوة والبراءة.

أ.هـ

أقول:

إن الخطاب من الله تعالى بالمقاطعة والبراءة والمفاصلة.

فإن من [أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله]. (94)

فمن كان وليا لله فكيف يجمع بين حب الله وحب عدو (95) الله أتدعى حبه وتمشى مع عدوه؟

والولاء له صور كثيرة: تكون فى النصح والإعانة والمظاهرة وإن البراءة تكون ابتداء من القلب وفى الظاهر ما استطعنا ولو ضحكنا فى وجوههم ولكن قلوبنا تبغضهم وإن عجزنا عن البعد عنهم وجلسنا معهم ولكن مع عزلة الشعور وتدبروا فى قوله تعالى:

﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾

(الممتحنة / 4)

سبب قوله تعالى:

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾

(الكافرون / 1)

نزلت فى رهط من قريش قالوا:

يامحمد هلم اتبع ديننا ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فإن كان الذى جئت خيراً مما بأيدينا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وإن كان الذى بأيدينا خيراً مما فى يدك قد شركت فى أمرنا وأخذت بحظك فقال:

---

(94) أخرجه الطيالسى عن ابن مسعود (738)، وأخرجه أحمد عن البراء بن عازب (بـ/286).

(95) قال الشاعر:

تحب عدوى، ثم تزعم أننى صديقك، إن الود عنك لعازب

انظر تاج العروس للذبيى جـ10 ص238.

قال رسول الله ﷺ: [من أحب لله وأبغض لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان] (رواه أبو داود).

معاذ الله أن أشرك به غيره، فأنزل الله تعالى:

﴿ قُل يَـٰأَيُّهَا الكَـٰفِرُونَ * لَآأَعبُدُ مَاتَعبُدُونَ * وَلَآأَنتُم عَـٰبِدُونَ مَآأَعبُدُ * وَلَآأَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّم * وَلَآأَنتُم عَـٰبِدُونَ مَآ أَعبُدُ * لَكُم دِينُكُم وَلِيَ دِينِ ﴾

(الكافرون / 1:6)

فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة فيأسوا منه عند ذلك.

أ.هـ

أقول:

هلموا إلى فهم تلك السورة وتأملوا فى قوله: (دين) [96] وعند ختام السورة لكلمة دين، إن المراد بكلمة الدين هو النظام، فقولوا لكل النظم غير الإسلامية فى واقعنا لا وألف لا.

وقولوا لأصحاب تلك النظم: لانعبد ما أنتم عابدون ولا أنتم عابدون مانعبد إلا أن يشاء الله لكم:

إنها القضية التى حسمها القرآن من القرن الأول وياليتنا نتفهمها اليوم لازال دين غير دين الله على الأرض لازالت الآلهة متعددة وإن كانت على هيئة غير الحجارة.

صحافة وتلفاز، مفكرون، وشعراء، وأدباء، وممثلون، وأسماء كالذى يسمى بالعندليب الأسمر، وكوكب الشرق، سيدة الشاشة، ومعبودة الجماهير، ويافرحة المغُفلين لو جاء فاجر مغمور واسمه مشهور يقبلون قدمه

(96) انظر المصطلحات الأربعة لتعريف كلمة (الدين) المودودى.

ويداه تحت اسم مهرجان وأحياناً يلقوا بأنفسهم إلى الموت بأساليب انتحار مختلفة لأن الفنان الفُلانى مات أو الزعيم الفُلانى مات واسألوا مصر كم من الفتيات والفتيان ماتوا انتحاراً يوم موت العندليب الأسمر؟!.

- فصل -

أهل العداوة وأهل الخضوع

سبب قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّـٰهِدِينَ * وَمَالَنَا لَانُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّـٰلِحِينَ * فَأَثَـٰبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَ‌ٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ الْجَحِيمِ ﴾

(المائدة / 83:86)

الآيات نزلت فى النجاشى وأصحابه

قال ابن عباس:

كان رسول الله ﷺ وهو بمكة يخاف على أصحابه من المشركين فبعث جعفر بن أبى طالب وابن مسعود وفى رهط من أصحابه إلى النجاشى وقال:

إنه ملك صالح لايظلم ولايُظلم عنده أحد فاخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً فلما وردوا عليه أكرمهم وقال لهم: تعرفوا شيئاً مما أنزل عليكم قالوا: نعم قال: اقرأوا فقرؤا وحوله القسيسون والرهبان فكلما قرؤا آية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق قال الله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنهُم قِسِّيسِينَ وَرُهبَاناً وَأَنَّهُم لَايَستَكبِرُونَ ﴾

(المائدة / 82)

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَاكتُبنَا مَعَ الشَّـٰهِدِينَ ﴾

(المائدة / 83)

أ.هـ

أقول:

وهذا يرد على من قالوا إن النجاشى كان غير مسلم.

وأن النبى ﷺ أجاز جوار الكافر.

وتحميل التنزيل وليس لهم من العلم ولا الحظ إلا القليل.

ولكن فليراجع هذا الأمر لنعلم كيفية الجوار والاستعانة دون الاستعانة وخير ماجاء فى هذا كتاب الموالاة والمعاداة [97] ولأنه ليس هنا مجاملة.

(97) الموالاة والمعاداة فى الشريعة الإسلامية للشيخ محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود.

- فصل -

العبرة بالنهاية

سبب قوله تعالى:

﴿ لَايَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِى البِلَـٰدِ ﴾
(آل عمران / 196)

نزلت فى مشركى مكة.

وذلك أنهم كانوا فى رخاء ولين من العيش، وكانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين:

إن أعداء الله فيما نرى من الخير، وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت هذه الآية.

أ.هـ

أقول:

وهذا فى واقعنا نظرة حقيقية.

إننا لانلقى الكثير فى الطريق يقولوها بنوع آخر.

يريدون إسلاما مع نعومة الأظافر.

ويحتج بأن الذين كفروا يتنعمون أو ليس لنا ذلك؟

أذكركم ونفسى بهذا السبب الآتى:

- فصل -

التحدث بالنعمة وغيره كفر

سبب قوله تعالى:

﴿ أَفَغَيرَ دِينِ اللَّهِ يَبغُونَ وَلَهُ أَسلَمَ مَن فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرضِ طَوعاً وَكَرهاً وَإِلَيهِ يُرجَعُونَ * قُل ءَامَنَّا بِاللهِ وَمَآأُنزِلَ عَلَينَا وَمَآأُنزِلَ عَلَىٰ إِبرَاهِيمَ وَإِسمَـٰعِيلَ وَإِسحَـٰقَ وَيَعقُوبَ وَالأَسبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِم لَانُفَرِّقُ بِينَ أَحَدٍ مِّنهُم وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ * وَمَن يَبتَغِ غَيرَ الإِسلَـٰمِ دِيناً فَلَن يُقبَلَ مِنهُ وَهُوَ فِي الأَخِرَةِ مِنَ الخَـٰسِرِينَ ﴾

(آل عمران / 85:83)

قال ابن عباس:

اختصم أهل الكتاب فيما اختلف فيه من دين إبراهيم كل فرقة زعمت أنها أولى بدينه.

فقال النبي ﷺ كلا الفريقين يرى من دين إبراهيم فغضبوا وقالوا والله مانرضى بقضائك ولانأخذ بدينك فأنزل الله تعالى هذه الآية.

(آل عمران / 85:83)

أ.هـ

أقول:

وكذلك لابد لنا أيضاً أن نتبرأ من كل من خالف ملة إبراهيم وإن كانوا ينتبسون للإسلام اسماً.

واذكركم ونفسى بقوله تعالى:

﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُم وَمِمَّا تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾
(الممتحنة / 4) (98)

- فصل -

الحسد

سبب قوله تعالى:

﴿ وَلَتَسمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَـٰبَ مِن قَبلِكُم وَمِنَ الَّذِينَ أَشرَكُوٓا أَذىً كَثِيراً وَإِن تَصبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِن عَزمِ الأُمُورِ ﴾
(آل عمران / 186) (99)

إن كعب بن الأشرف اليهودى كان شاعراً وكان يهجو النبى ﷺ ويحرض عليه كفار قريش بشعره وكان النبى ﷺ قدم المدينة وأهلها

(98) قوله تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾.

(99) قوله تعالى: ﴿لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾.

أخلاط منهم المسلمون ومنهم المشركون ومنهم اليهود فأراد النبى ﷺ أن يستصلحهم.

فكان المشركون واليهود يؤذونه ويؤذون أصحابه أشد الأذى فأمر الله تعالى النبى ﷺ بالصبر على ذلك وفيهم أنزل الله:

﴿ وَلَتَسمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَـٰبَ مِن قَبلِكُم وَمِنَ الَّذِينَ أَشرَكُوٓاْ أَذىً كَثِيراً وَإِن تَصبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِن عَزمِ الأُمُورِ ﴾

(آل عمران / 186)

أ.هـ

أقول:

وهكذا تلك السنن نمر بها فى واقعنا اليوم وكأن القرآن يتنزل علينا اللحظة هاهم الكفار هاهم الكفار المشركون لازلنا نسمع منهم أذى صدقت.

ياربى فيما قلت وان وعدك الحق فسوف نصبر حتى يتحقق فينا قولك كما تحقق فى الذين من قبلنا.

راجع الآية 55 سورة النور.

سبب قوله تعالى:

﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزلِقُونَكَ بِأَبصَـٰرِهِم لَمَّا سَمِعُواْ الذِّكرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجنُونٌ ﴾

(القلم / 51)

الآية نزلت حين أراد الكفار أن يُعينوا رسول الله ﷺ فيصيبوه بالعين

فنظر إليه قوم من قريش فقالوا:

مارأينا مثله ولا مثل حججه.

وكانت العين في بني أسد حتى أن كانت الناقة السمينة والبقرة السمينة تمر بإحداهم فيعينها ثم يقول:

ياجارية خذى المكتل[100] والدرهم واتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر.

وقال الكلبي:

كان رجل يمكث لايأكل يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به النعم فيقول دعنى اليوم إبل ولاغنم أحسن من هذه فما تذهب إلا قريباً حتى يسقط منها طائفة وعدة.

فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين ويفعل به مثل ذلك وعصم الله نبيه وأنزل هذه الآية

﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾

(القلم / 51)

أقول:

أيها الإخوان إن الحسد حقيقة لاخرافة ولو شيء يسبق القدر لسبقته العين[101] وإن الحسد يملكه كل الناس ولكن هناك من يستعمله دائماً

---

(100) المكتل : قُفة من ورق النخل.

(101) حدثنا مسلم عن إبراهيم قال حدثنا وهيب عن ابن طاووس أمر واقع ولكنه لايعالج إلا بالطرق الشرعية وخير .

وهناك من لايستخدمه أبداً إلا أن يشاء الله فعلى المسلم أن يقول إذا أعجبه زوجه أو ولده أو ماله أو نفسه ماشاء الله لاقوة إلا بالله [102] وإذا ظننا فى أحد أنه حسد فلنقول له اللهم بارك لنا ولك قل آمين. [103]

فإن كان ذلك فقد رد عليه عينه وإن كان الحسد أمر واقع ولكنه لا يعالج إلا بالطرق الشرعية وخير ماجاء فى ذلك، وهى سورة الفلق وسورة الناس، وراجع من الكتب الحديثة مانزل فى علاج الحسد.

- فصل -

مواساة وحكم

سبب قوله تعالى:

﴿ يَـٰأَيُّهَا الرَّسُولُ لَايَحزُنكَ الَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى الكُفرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِأَفوَٰهِهِم وَلَم تُؤمِن قُلُوبُهُم وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّـٰعُونَ لِلكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَومٍ ءَاخَرِينَ لَم يَأتُوكَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِن بَعدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِن أُوتِيتُم هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّم تُؤتَوهُ فَاحذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتنَتَهُ فَلَن تَملِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيئاً أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ لَم يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُم لَهُم فِى الدُّنيَا خِزىٌ وَلَهُم فِى الأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ *

(102) ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لاقوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت».
أنظر تفسير ابن كثير فى سورة الكهف ص84 جـ3.

(103) راجع الحديث. اخرجه احمد 486/3/ والحاكم /411/3 ما يمنع أحدكم إذا رأى.

سَمَّـٰعُونَ لِلكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحتِ فَإِن جَآءُوكَ فَاحكُم بَينَهُم أَو أَعرِض عَنهُم وَإِن تُعرِض عَنهُم فَلَن يَضُرُّوكَ شَيئاً وَإِن حَكَمتَ فَاحكُم بَينَهُم بِالقِسطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ * وَكَيفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّورَىٰةُ فِيهَا حُكمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّونَ مِن بَعدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَـٰئِكَ بِالمُؤمِنِينَ * إِنَّآ أَنزَلنَا التَّورَىٰةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّـٰنِيُّونَ وَالأَحبَارُ بِمَا استُحفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخشَوُاْ النَّاسَ وَاخشَونِ وَلَاتَشتَرُواْ بِئَايَـٰتِى ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّم يَحكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الكَـٰفِرُونَ * وَكَتَبنَا عَلَيهِم فِيهَآ أَنَّ النَّفسَ بِالنَّفسِ وَالعَينَ بِالعَينِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّم يَحكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ * وَقَفَّينَا عَلَىٰ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ابنِ مَريَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ التَّورَىٰةِ وَءَاتَينَـٰهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ التَّورَىٰةِ وَهُدىً وَمَوعِظَةً لِّلمُتَّقِينَ * وَليَحكُم أَهلُ الإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّم يَحكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الفَـٰسِقُونَ ﴾

(المائدة / 47:41)

حدثنا أبوبكر أحمد بن الحسن الحيرى إملاء قال:

أخبرنا أبو محمد حاجب الطوسى قال: محمد بن حماد الأبيوردى قال

حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبدالله بن مرة عن البراء بن عازب قال:

مَر على رسول الله ﷺ يهودى محمما مجلودا فدعاهم فقال:

أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم قالوا نعم قال: فدعا رجلا من علمائهم فقال: أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى - عليه السلام - هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم قال: لا، ولولا أنك نشدتنى لم أخبرك.

نجد حد الزانى في كتابنا الرجم ولكنه كثر فى أشرافنا فكنا إذا أخذ الشريف تركناه وإذا أخذنا الوضيع أقمنا عليه الحد فقلنا:

تعالوا نجتمع على شىء نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله ﷺ:

اللهم إنى أول من أحيا أمرك إذا أماتوه فأمر به فرجم

فأنزل الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٌ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾
(المائدة / 41)

يقولون أتوا محمداً فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوا به وإن أفتاكم بالرجم، فأحذروا، إلى قوله تعالى:

﴿ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الكَـٰفِرُونَ ﴾

(المائدة / 44)

قال في اليهود إلى قوله:

﴿ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ ﴾

(المائدة / 45)

قال في اليهود إلى قوله:

﴿ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الفَـٰسِقُونَ ﴾

(المائدة / 47)

قال في الكفار على مارواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن أبي معاوية أخبرنا أبو عبد الله بن أبي اسحق، قال: أخبرنا أبو الهيثم أحمد بن محمد بن غوث الكندى قال:

حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمى قال: حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن البراء بن عازب عن النبى ﷺ:

انه رجم يهوديا ويهودية ثم قال:

﴿ إِنَّآ أَنزَلنَا التَّورَٰةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّـٰنِيُّونَ وَالأَحبَارُ بِمَا استُحفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخشَوُاْ النَّاسَ وَاخشَونِ وَلَاتَشتَرُواْ بَِٔايَـٰتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّم

يَحكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الكَـٰفِرُونَ ﴾

(المائدة / 44)

﴿ وَكَتَبنَا عَلَيهِم فِيهَآ أَنَّ النَّفسَ بِالنَّفسِ وَالعَينَ بِالعَينِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّم يَحكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ ﴾

(المائدة / 45)

﴿ وَقَفَّينَا عَلَىٰ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ابنِ مَريَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ التَّورَىٰةِ وَءَاتَينَـٰهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ التَّورَىٰةِ وَهُدىً وَمَوعِظَةً لِّلمُتَّقِينَ ﴾

(المائدة / 46)

قال نزلت كلها فى الكفار.

رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة

قوله تعالى

﴿ إِنَّآ أَنزَلنَا التَّورَىٰةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّـٰنِيُّونَ وَالأَحبَارُ بِمَا استُحفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخشَوُاْ النَّاسَ وَاخشَونِ وَلَا تَشتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّم يَحكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الكَـٰفِرُونَ ﴾

(المائدة / 44)

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الفارسى قال:

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون قال:

أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن قال:

حدثنا محمد بن يحيى قال:

حدثنا عبد الرازق قال:

حدثنا معمر عن الزهرى قال حدثنا رجل من مزينة ونحن عند سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال:

زنى رجل من اليهود وامرأة، قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى هذا النبى فإنه نبى مبعوث للتخفيف، فإذا أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها عن الله، واحتججنا بها عند الله، وقلنا فتيا نبى من أنبيائك فأتوا النبى ﷺ وهو جالس فى المسجد مع أصحابه، فقالوا:

يا أبا القاسم ما ترى فى رجل وامرأة زنيا؟

فلم يكلمهما حتى أتى بيت مدارسهم فقام على الباب فقال:

أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى، ماتجدون فى التوراة على من زنى إذا أحصن قالوا:

يحمم ويجبه ويجلد، والتجبية أن يحمل الزانيان على الحمار ويقابل اقفيتهما ويطاف بهما قال:

وسكت شاب منهم لما رآه النبى ﷺ سكت!

ألح به فى النشدة فقال:

اللهم إذا أنشدتنا فإنا نجد فى التوراة الرجم فقال النبى ﷺ: فما أول ما

أرخصتم أمر الله عز وجل.

قال:

زنى رجل ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأخر عنه الرجم ثم زنى رجل من سراة الناس فأراد رجمه فأحال قومه دونه فقالوا:

لايرجم صاحبنا حتى يجيء بصاحبكم فيرجمه، فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم، فقال النبى ﷺ:

فإنى أحكم بما فى التوراة فأمر بهما فرجما قال الزهرى:

فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم.

(المائدة / 44) [104]

وكان النبى ﷺ منهم، قال معمر:

أخبرنى الزهرى عن سالم عن ابن عمر قال:

شهدت رسول الله ﷺ حين أمر برجمهما، فلما رجما، رأيته يجنأ بيده عنها ليقيها الحجارة.

---

(104) قوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلاتخشوا الناس واخشونى ولاتشتروا بآياتى ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾.

- فصل -

رحمة الله وأحكامه

سبب قوله تعالى:

﴿ وَإِنِ امرَأَةٌ خَافَت مِن بَعلِهَا نُشوزاً أَو إِعرَاضاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيهِمَآ أَن يُصلِحَا بَينَهُمَا صُلحاً وَالصُّلحُ خَيرٌ وَأُحضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيراً ﴾

(النساء / 128)

عن عروة عن عائشة فى قوله تعالى، الآية نزلت فى المرأة تكون عند الرجل، فلا يستكثر منها، ويريد فراقها ولعلها تكون له صاحبة ويكون لها ولد، فيكره فراقها، وتقول له لاتطلقنى وأمسكنى، وأنت فى حل من شأنى، فنزلت هذه الآية.

وعن ابن المسيب:

أن بنت محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن صبيح فكره منها أمراً إما كبراً وإما غيرة فأراد طلاقها فقالت:

لاتطلقنى وأمسكنى وأَقْسِم لى مابدالك، فنزلت هذه الآية.

أقول:

وفيها تأمل لأصحاب الحقوق بل لكل مسلمة ومسلم. (105)

(105) راجع جـ9 ص267 سورة النساء للإمام الطبرى.

وهذه إشارة لتعدد الزوجات، وليفهموا الذين يؤلون معنى الآية.

سبب قوله تعالى:

﴿ الزَّانِى لَايَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَو مُشرِكَةً ﴾

(النور / 3) (106)

قال المفسرون: قدم المهاجرون إلى المدينة وفيهم فقراء ليست لهم أموال وبالمدينة نساء بغايا مسافحات يكرين أنفسهن، وهن يومئذ أخصب أهل المدينة، فرغب فى كسبهن ناس من فقراء المهاجرين، فقالوا:

إنا تزوجنا منهن، فعشنا معهن إلى أن يغنينا الله - تعالى - عنهن فاستأذنوا النبى ﷺ فى ذلك.

فنزلت هذه الآية.

وحرم فيها نكاح الزانية، صيانة للمؤمنين، عن ذلك، وقال عكرمة نزلت الآية فى نساء بغايا متعالجات بمكة والمدينة، وكن كثيرات، وفيهن تسع صواحب رايات لهن رايات كرايات البيطار يعرفونها أم مهدون جارية السائب بن السائب المخزومى، وأم غليظ جارية صفوان بن أمية وحية القبطية جارية العاص بن وائل ومرية جارية بن مالك بن السباق وجلالة جارية سهيل بن عمرو وأم سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومى وشريفة جارية زمعة بن الأسود، وقرينة جارية هشام بن ربيعة، وفرتنا جارية هلال بن أنس، وكانت بيوتهن تسمى فى الجاهلية المواخير، لايدخل عليهن ولايأتيهن إلا زانٍ من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوتاد (الأوثان).

فأراد ناس من المسلمين نكاحهن ليتخذوهن مكة.

---

(106) قوله تعالى: ﴿الزانى لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾.

فأنزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن ذلك، وحرمه عليهم، وعن عبد الله بن عمر أن امرأة يقال لها أم مهدون كانت تسافح، وكانت تشترط للذى يتزوجها أن تكفيه النفقة وأن رجلا من المسلمين أراد أن يتزوجها فذكر ذلك للنبى ﷺ فنزلت هذه الآية.

﴿ الزَّانِي لَايَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَو مُشرِكَةً ﴾

(النور / 3)

أقول:

إن الأمر فى هذا مهما كتبت فيه لم أعطيه حقه ولكن أولا:

لو نظرنا فى كتاب إغاثة اللهفان لابن القيم بخصوص هذه الآية لفهمنا منها الكثير وجزاه الله عنا خيرا قد أوضح المسألة وبين أن ليس المراد إباحة الزنا ولكن المراد تحريم ذلك على المؤمنين.

وهذا ماأسمعه كثيرا فى هذا العصر من الذين يزعمون الإسلام كانوا دائما يستفتونى فى الزواج من العاريات.

والبعض من العاهرات وكأنهم يشفقون عليهن، وأكثرهم يغتر فى الأجساد الخاوية واللحم النتن وكثرة المال.

ولايخفى على ذوى البصائر فأسأل الله لى وللمسلمين والمسلمات، العفو والعافية.

ماأجمل المسلمات القانتات العفيفات، وكأن سوق النساء القانتات قد خرب!!!.

﴿ قُل كُلٌّ يَعمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُم أَعلَمُ بِمَن هُوَ أَهدَىٰ سَبِيلاً ﴾

(الأسراء / 84)

ويقول ﷺ:

[فاظفر بذات الدين تربت يداك] (107)

- فصل -

ذم البخل

وهذا السبب يبين لنا أن البخل مذموم وأن الله تعالى ذكر أهل هذا الكتاب بقوله ومما رزقناهم ينفقون.

سبب قوله تعالى:

﴿ الٓمٓ * ذَٰلِكَ الكِتَـٰبُ لَارَيبَ فِيهِ هُدىً لِّلمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِالغَيبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَـٰوةَ وَمِمَّا رَزَقنَـٰهُم يُنفِقُونَ ﴾

(البقرة / 3:1)

والبخل يكون بالمعلومات، ويكون بالمال، والبخل ضد كل عطاء وقوله تعالى:

(107) أخرجه البخارى فى كتاب النكاح جـ9.

﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾
(النساء / 37) (108)

قال ابن عباس وابن زيد:

نزلت في جماعة من اليهود كانوا يأتون رجالا من الأنصار يخالطونهم وينصحونهم ويقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فإن نخشى عليكم الفقر فأنزل الله تعالى هذه الآية التي ذكرتها آنفاً.

أ.هـ

أقول:

وفي مجتمعنا مثل ذلك أمثلة باطلة يقولوها، الذي يحتاجه البيت يحرم على الجامع، وما إلى ذلك: كالذي يعمل ليل نهار بحجة توسيع الرزق والرزق بحسب الخفية، ويبخل على نفسه، ولايعرفها، دين الله، وأوامره، ونواهيه.

إن كثيرا من دول العالم تحتاج الى الفُتات من بقايا طعامكم ولنتأمل في قوله تعالى في سورة الاسراء الآية 100. (109)

(108) قوله تعالى: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾.

(109) ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً﴾.

- فصل -

الإيثار

سبب قوله تعالى:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾
(الحشر / 9)

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول ﷺ دفع إلى رجل من الأنصار رجلا من أهل الصفة فذهب به الأنصارى إلى أهله، فقال للمرأة هل من شيء قالت: لا إلا قوت الصبية قال: فنوميهم فإذا ناموا فأتينى فإذا وضعت الطعام فأطفئى السراج قالت ففعلت وجعل الأنصارى يقدم إلى ضيفه مابين يديه ثم غدا به الى رسول الله ﷺ.

فقال: لقد عجب من فعالكما أهل السماء، ونزلت الآية.

رواه البخارى عن مسدد عن عبد الله بن داود ورواه مسلم عن أبى كريب عن وكيع كلاهما عن فضيل بن عزوان.

وعن عبد الله بن عمر قال:

أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال إن أخى فلان وعياله أحوج إلى هذا منا فبعث به إليه فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداوله سبعة أهل أبيات حتى رجعت إلى أولئك قال: فنزلت الآية.

أقول:

لو تأملنا فى هذه الآية وفى هؤلاء الذين رضى الله عنهم ما كان حال المسلمين اليوم هكذا.

سبب قوله تعالى:

﴿ وَاللَّيلِ إِذَا يَغشَىٰ * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ * إِنَّ سَعيَكُم لَشَتَّىٰ ﴾

(الليل / 1:4)

عن ابن عباس:

أن رجلاً كانت له نخلة فرعها فى دار رجل فقير ذى عيال وكان الرجل إذا جاء ودخل الدار فصعد النخلة ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من نخلته حتى يأخذ التمر من فمهم وإن وجدها فى فم أحدهم أدخل أصبعه حتى يخرج التمرة من فيه.

فشكا الرجل ذلك إلى النبى ﷺ وأخبره بما يلقى من صاحب النخلة فقال له النبى ﷺ اذهب ولقى صاحب النخلة وقال:

تعطينى نخلتك المائلة، التى فرعها فى دار فلان ولك بها نخلة فى الجنة، فقال له الرجل:

إن لى نخلا كثيرا ومافيها نخلة أعجب إلى تمرة منها.

ثم ذهب الرجل، فلقى رجلاً هو ابن الدحداح.

كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ فقال:

يارسول الله، أتعطينى ما أعطيت الرجل نخلة فى الجنة إن انا أخذتها قال: نعم فذهب الرجل، فلقى صاحب النخلة، فساومها منه فقال له:

أشعرت أن محمداً أعطانى بها نخلة فى الجنة فقلت:

يعجبنى ثمرها فقال له الآخر:

أتريد بيعها قال لا إلا أن أعطى بها مالا أظنه أعطى قال: فما مناك قال: أربعون نخلة قال له الرجل:

لقد جئت بعظيم تطلب بنخلتك المائلة أربعين نخلة، ثم سكت عنه فقال له: أنا أعطيك أربعين نخلة، فقال له:

أشهد لى إن كنت صادقا، فمر الناس فدعاهم، فأشهد له بأربعين نخلة، ثم ذهب إلى النبى ﷺ فقال:

يارسول الله إن النخلة قد صارت فى ملكى فهى لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار، فقال إن النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿ وَالَّيلِ إِذَا يَغشَىٰ * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ * إِنَّ سَعيَكُم لَشَتَّىٰ ﴾

(الليل / 1:4)

عن عبدالله:

أن أبا بكر اشترى بلالاً من أمية بن خلف ببردة وعشر أواق، فأعتقه فأنزل الله تبارك وتعالى.

﴿ إِنَّ سَعيَكُم لَشَتَّىٰ ﴾

(الليل / 4)

يسعى أبى بكر وأمية وأبى بن خلف.

أ.هـ

أقول:

يحضرنى قوله تعالى:

﴿ فَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ * وَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾

(الزلزلة / 8:9)

كما جاء فى الحديث القدسى، يقول حضرة الرب عز وجل:

إنما هى أعمالكم وأنا أحصيها لكم فليبادر كل منا بالخير، ولينظر فى سعيه

﴿ وَأَن لَّيسَ لِلإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾

(النجم / 39)

عن أبى ذر. (110)

(110) عن أبى ذر عن النبى ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: [يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم، ياعبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم، ياعبادى كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسونى أكسكم. ياعبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم، ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجِنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجِنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئاً ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى أعطى كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المِخيطُ إذا أُدخِلَ البحر، ياعبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه] رواه مسلم.
كتاب الأحاديث القدسية لإمام المحدث محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى المتوفى سنة 676هـ.

سبب قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَن أَعطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالحُسنَىٰ ﴾
(الليل / 5:6)

عن عَلَيّ قال:

قال رسول الله ﷺ:

ما منكم من أحد الا كتب مقعده من الجنة، ومقعده من النار، قالوا:

يارسول الله أفلا نتكل قال:

اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ:

﴿ فَأَمَّا مَن أَعطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالحُسنَىٰ *
فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسرَىٰ ﴾
(الليل / 5:7)

رواه البخارى عن أبى نعيم عن الأعمش.

ورواه مسلم عن أبى زهير عن جرير عن منصور.

عن عامر بن عبد الله عن بعض أهله، قال أبو قحافة لابنه أبى بكر يابنى أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك فعلت أعتقت رجالاً جلدة يمنعونك ويقومون دونك فقال أبوبكر:

ياأبت إنى إنما أريد ما أريد قال:

فتحدث ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قاله أبوه.

﴿ فَأَمَّا مَن أَعطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالحُسنَىٰ ﴾
(الليل / 5:6)

وذكر من سمع ابن الزبير، وهو على المنبر يقول:

كان أبوبكر يبتاع الضعفة من العبيد فيعتقهم فقال له أبوه:

يابنى لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال:

منع ظهرى أريد فنزل فيه.

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسرَىٰ * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاستَغنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسرَىٰ * وَمَايُغنِى عَنهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ * إِنَّ عَلَينَا لَلهُدَىٰ * وَإِنَّ لَنَا لَلأَخِرَةَ وَالأُولَىٰ * فَأَنذَرتُكُم نَاراً تَلَظَّىٰ * لَايَصلَـٰهَآ إِلَّا الأَشقَى * الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتقَى * الَّذِى يُؤتِى مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحدٍ عِندَهُ مِن نِّعمَةٍ تُجزَىٰ * إِلَّا ابتِغَآءَ وَجهِ رَبِّهِ الأَعلَىٰ * وَلَسَوفَ يَرضَىٰ ﴾

(الليل / 21:7)

عن ابن عباس:

أن بلالاً لما اسلم ذهب إلى الأصنام، فسلح عليها، وكان عبداً، لعبد الله بن جدعان فشكى إليه المشركون مافعل، فوهبه لهم ومائة من الأبل ينحرونها لآلهتهم، فأخذوه وجعلوا يعذبونه فى الرمضاء، وهو يقول أحد أحد، فمر به رسول الله ﷺ فقال:

ينجيك أحد أحد، ثم أخبر رسول الله ﷺ أبا بكر أن بلالاً يعذب فى الله فحمل أبوبكر رطلا من الذهب فابتعاه به، فقال المشركون: مافعل أبوبكر ذلك إلا ليد كانت لبلال عنده.

فأنزل الله تعالى:

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾
(الليل / ٢١:٢٠)

أقول:

إن هذه السورة العظيمة، لو نظرنا فى واقعنا يقول قائل:

أين الذى يشترى العبيد ويعتقها؟

إن لكم إخوان لايملكون أقوات يومهم، ومنكم من يمسك المال خشية الإنفاق.

إن هناك أناس يريدون أن يدخلوا فى دين الله!

فلو قدميت لهم الدراهم قبل القول فقد تكونوا سبباً فى دخولهم الإسلام إن هذه السورة تحس أهل واقعنا على البحث عن المحتاجين من أبناء المسلمين ورجال المسلمين وناس المسلمين ليكونوا أخوانا، وفى هذا المال ينفق يكون كرامة لصاحبه سبباً لنيسره لليسرى وعند الإمساك ذل ومهانة وتكوى بها فى الآخرة جباههم وجنوبهم، هذا واقعكم!

وانظروا فى واقع الصديق رضى الله عنه.

- فصل -

الحاكمية لمن؟

سبب قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى الطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ الشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلاً بَعِيداً ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً ﴾

(النساء / 60:61)

نزلت في رجل من المنافقين ورجل من اليهود بينهما خصومة فقال اليهودي:

أنطلق بنا إلى محمد وقال المنافق بل نأتي كعب بن الأشرف، فأبى اليهودى إلا أن يخاصمه إلى رسول الله ﷺ فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله فاختصما إليه فقضى رسول الله ﷺ لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال: ننطلق إلى عمر بن الخطاب فأقبلوا إلى عمر فقال اليهودى اختصمنا أنا وهذا إلى محمد، فقضى لى عليه، فلم يرض بقضائه، وزعم أنه مخاصم إليك وتعلق بى فجئت إليك معه فقال عمر للمنافق:

أكذلك، قال: نعم فقال لهم رويدا حتى أخرج إليكما، فدخل عمر أخذ السيف فاشتمل عليه ثم خرج إليهما وضرب به المنافق، حتى برد وقال:

هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله، وقضاء رسوله وهرب اليهودى ونزلت الآية.

(النساء / 61:60)

أ.هـ

أقول:

نحن فى حاجة إلى الفاروق - رضى الله عنك - ياعمر.

قد أصبح رجال الأمة لايسمون إلا ذكورا، قد حرمنا من طعم الرجولة، أين أنت أيها الفاروق؟

أين شجاعتك بديننا؟

ولكنى أقول لو تمسكنا بدينك لأصبحنا كما كنت أنت ياعمر، ولكنه لم هُجر الدين وتمسكوا بالنظم الوضعية وتحاكموا إلى الطواغيت، وإلى قوانين الجاهلية، التى هى أمر وأشد ضراوة من كعب بن الأشرف ومن الكاهن الأسلمى.

لانريد إلا شرع النبى، فأبى المنافقون، وانطلقوا إلى قانون أبى بردة، ليحكم بينهم، وقبلوا الرشوة على دين الله.

فأذكركم ونفسى بقوله تعالى:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَايُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾
(النساء / 65)

سبب قوله تعالى:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَايُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾
(النساء / 65)

وهذه الآية نزلت فى الزبير بن العوام وخصمه حاطب بن أبى بلتعة وقيل هو ثعلبة بن حاطب.

وقيل إن الزبير خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدرا مع رسول الله ﷺ فى شراج الحرة كانا يسقيان بها لكلاهما فقال النبى ﷺ للزبير أسقِ، ثم أرسل إلى جارك، فغضب الأنصارى وقال يارسول الله إن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال للزبير: أسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدار فاستوفى رسول الله ﷺ للزبير حقه وكان قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه سعة للأنصارى وله، فلم أحفظ الأنصارى رسول الله ﷺ استوفى للزبير حقه فى صريح الحكم.

قال عروة، قال الزبير:

ما أحسب هذه الآية أنزلت إلا فى ذلك

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَايُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ﴾
(النساء / 65)

أ.هـ

أقول:

هذه عبرة أن القرآن، بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب، فأين هم الذين يقرأون القرآن وينتسبون للقرآن أقول لهم:

لا، لن تكونوا أهلا للقرآن، إلا أن تكونوا أهلا لأحكام القرآن، فلا والله لاتؤمنون حتى تحكموا قانون النبى ﷺ وإلا فياحسرة على العباد، فإن باطن الأرض خير لكم من ظاهرها.

- فصل -

أطب مطعمك

سبب قوله تعالى:

﴿ وَلَاتَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسمُ اللَّهِ عَلَيهِ وَإِنَّهُ لَفِسقٌ ﴾
(الأنعام / 121)

قال المشركون: يامحمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها قال: الله قتلها قالوا: فتزعم أن ماقتلت أنت وأصحابك حلال وماقتل الكلب والصقر حلال، وماقتله الله حرام؟ فأنزل الله هذه الآية.

وقال عكرمة

إن المجوس من أهل فارس لما أنزل الله تعالى تحريم الميتة كتبوا إلى مشركي قريش وكانوا أولياءهم فى الجاهلية، وكانت بينهم مكاتبة، إن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم متبعون أمر الله ثم يزعمون أن ماذبحوا فهو حلالاً، وماذبح الله فهو حرام، فوقع فى أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿ وَلَاتَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسمُ اللَّهِ عَلَيهِ وَإِنَّهُ لَفِسقٌ ﴾
(الأنعام / 121)

أقول:

فنتأمل سويا فى قوله تعالى.

إن شرط الذبيحة للمسلم أن تكون الذبيحة ذبحها مسلم وإن كان المسلم الذى ذبح ناسياً فيأكل ويذكر اسم الله أما إن كان مشركاً من

أصحاب العمل الحابط[111] لقوله

﴿ لَئِن أَشرَكتَ لَيَحبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾

(الزمر / 65)

فتصبح التسمية بمثابة العمل الحابط لأنها حابطة مثل عمله فتكون بذلك الذبيحة ينقصها شرط من شروط التزكية فتحرم على المسلم وأما قوله تعالى فى سورة المائدة.

﴿ اليَومَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُم ﴾

(المائدة / 5)

والطعام هنا الذبح

أقول:

قال الله تعالى:

﴿ لَم يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن أَهلِ الكِتَٰبِ وَالمُشرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأتِيَهُمُ البَيِّنَةُ ﴾

(البينة / 1)

فذكر هنا أهل الكتاب والمشركين، فلو كان مثلاً أهل كتاب كالنجاشى وماسبق فيهم ومنهم لأكلت ذبيحتهم لأنهم سيقولون بسم الله عليهما كما يتضح لنا وذكر أى اسم غير اسم الله فهذا نهى صريح إنه لفسق ومن هنا يتبين للمسلم تحريم ذبيحة المشرك وهذا أمر تعبدى بحيث لايشك فيه عبد لله تعالى.

---

(111) راجع حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب وغيرهم لعبد الله بن محمد بن حميد، وانظر الإمام ابن جرير الطبرى المجلد 9 ص588 تفسير سورة المائدة فى الذبائح.

- فصل -

مسجد ضرار

سبب قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسجِداً ضِرَاراً وَكُفراً وَتَفرِيقاً بَينَ المُؤمِنِينَ وَإِرصَاداً لِّمَن حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبلُ وَلَيَحلِفُنَّ إِن أَرَدنَآ إِلَّا الحُسنَىٰ وَاللَّهُ يَشهَدُ إِنَّهُم لَكَٰذِبُونَ * لَاتَقُم فِيهِ أَبَداً لَّمَسجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقوَىٰ مِن أَوَّلِ يَومٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ ﴾
(التوبة / 107:108)

قال المفسرون:

إن بنى عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه.

فحسدهم اخوانهم بنو عمرو بن عوف وقالوا:

نبنى مسجداً، ونرسل إلى رسول الله ﷺ ليصلى فيه، كما يصلى فى مسجد إخواننا، وليصل فيه أبوعامر الراهب، إذا قدم من الشام، وكان أبوعامر قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح، وأنكر دين الحنيفية لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعاداه وسماه النبى ﷺ أبا عامر الفاسق.

وخرج إلى الشام، وأرسل المنافقين، أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لى مسجداً فإنى ذاهب إلى قيصر فأتى بجند الروم.

فأُخرج محمد وأصحابه، فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء، وكان الذى بنوه اثنا عشر رجلا حزام بن خالد ومن داره أخرج إلى المسجد وثعلبة بن حاطب، ومعتب ابن قشير وأبو حبيبة بن الأرعد وعباد بن حنيف، وحارثة، وجارية وأبناه مجمع وزيد، ونبتل بن حارث ولحاد بن عثمان، ووديعة بن ثابت.

فلما فرغوا منه، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا:

إنا بنينا مسجداً لذى العلة، والحاجة، والليلة المطيرة، والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه، فدعا بقميصه ليلبسه فيأتيهم، فنزل عليه القرآن، وأخبر الله عز وجل خبر مسجد الضرار، وماهموا به فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم.

ومعن بن عدى وعامر بن يشكر والوحشى قاتل حمزة وقال لهم:

انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدموه، وأحرقوه فخرجوا وانطلق مالك وأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه ناراً ثم دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله.

وأمر النبى ﷺ أن يتخذ ذلك كناسة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة ومات أبو عامر بالشام وحيداً غريباً.

عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص عن أبيها قال:

إن المنافقين عرضوا بمسجد يبنونه يضاهون به مسجد قباء، وهو قريب منه لأبى عامر الراهب يرصدونه إذا قدم أمامهم فيه، فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا:

إنا بنينا مسجداً فصل فيه حتى نتخذه مصلى فأخذ بثوبه ليقوم فنزلت فيه الآية التى ذكرتها آنفا.

أقول:

إن الله سبحانه وتعالى سمى هذا المسجد ضرارا ونهى النبى ﷺ عن

الإقامة فيه وقال:

﴿ لَاتَقُم فِيهِ أَبَداً لَّمَسجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقوَىٰ مِن أَوَّلِ يَومٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾

(التوبة / 108)

ولو نظرنا فى مجتمعنا اليوم حين أحاطتهم الجاهلية، لوجدنا ليست المساجد فقط.

وإنما دعاة ضرار ليلتقوا حولهم، وفى مساجدهم، ثم يقتحمون تلك المساجد بالمواد المتلهبة والمسماه بالمسيلة للدموع، ويضع الأكمنة، وحين يجتمع الشباب يسطون عليهم سطوة واحدة.

لا أقول جيش قيصر والروم ولكن أقول:
جند الطاغوت!!!؟
نعم إنها السنن! ﴿لَاتَقُم فِيهِ أَبَداً﴾

(التوبة / 108) [112]

وانظر مايحدث فى الهند التى تهدم فيها مساجد المصلين، [113] وأيضاً ما يحدث فى المسجد الأقصى.

---

(112) قوله تعالى: ﴿لاتقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾.

(113) المسلمون فى الهند:
يُضطهد المسلمون فى الهند تحت الحكم الوثنى اضطهاداً مريراً فمنذ عام (1946) إلى عام (1979م) وقعت تسعة آلاف وخمسمائة واثنتان وأربعون مجزرة ضد المسلمين.
ذهب ضحيتها عشرات الملايين من المسلمين مابين قتيل وجريح ومشرد وفى عام (1400)هـ أطلق عباد البقر مجموعة من الخنازير على المسلمين وهم فى مصلى العيد، للسخرية وإستهزاء بالمسلمين ثم أعقبوا ذلك بهجوم على المسلمين ذهب ضحيته خمسمائة من المسلمين عدا الجرحى والمفقودين.(*)
(*) انظر مجلة الاعتصام العددان الثامن والتاسع السنة الرابعة والأربعون شعبان ورمضان (1401)هـ ص17.

- فصل -

الشهادة فى سبيل الله

عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ:

لما أصيب إخوانكم بأُحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا:

من يبلغ إخواننا أنا فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولاينكلوا فى الحرب، فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم.

فأنزل الله تعالى:

﴿ وَلَاتَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتا بَل أَحيَآءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضلِهِ وَيَستَبشِرُونَ بِالَّذِينَ لَم يَلحَقُواْ بِهِم مِّن خَلفِهِم أَلَّا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَاهُم يَحزَنُونَ * يَستَبشِرُونَ بِنِعمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَايُضِيعُ أَجرَ المُؤمِنِينَ ﴾

(آل عمران / 169:171)

وعن جابر بن عبد الله قال:

نظر إلىّ رسول الله ﷺ فقال مالى أراك مهتما قلت يارسول الله، قتل أبى وترك ديناً وعيالاً فقال ألا أخبرك ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء

حجاب وإنه كلم أباك كفاحاً فقال:

ياعبدى سلنى أعطك قال أسألك أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال إنه قد سبق منى، أنهم إليها لايرجعون، قال يارب فأبلغ من ورائى فأنزل الله تعالى الآية.

وعن سعيد بن جبير

﴿ وَلَاتَحسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَموَاتاً بَل أَحيَآءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ ﴾

(آل عمران / 169)

قال لما أصيب حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، يوم أحد ورأوا مارزقوا من الخير قالوا ياليت إخواننا يعلمون ما أصابنا من الخير كى يزدادوا فى الجهاد رغبة فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم، فقال تعالى الآية التى ذكرتها آنفاً.

أقول:

هؤلاء الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه إن صلاح هذا الدين لايكون إلا بالجهاد ولاننسى الجهاد ومراتبه يقول الله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنَا ﴾

(العنكبوت / 69)

- فصل -

من وصايا الرحمن

سبب قوله تعالى:

﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِى مُستَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَاتَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ ذَ ٰلِكُم وَصَّـٰكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام / 153)

قال أبوجعفر. (114)

يقول تعالى ذكره: وهذا الذى وصاكم به بربكم أيها الناس، فى هاتين الآتين من قوله: ﴿قُل تَعَالَواْ أَتلُ مَا حَرَّمَ ربُّكم عَلَيكم﴾ وأمركم بالوفاء به، هو صراطاً يعنى: طريقه ودينه الذى إرتضاه لعباده «مستقيما» يعني: قويماً لااعوجاج به عن الحق = «فاتبعوه» يقول: فاعملوا به واجعلوه لأنفسكم تسلكونه، فاتبعوه = «ولاتتبعوا السبل» يقول: ولاتسلكوا طريقاً سواه، ولاتركبوا منهجاً غيره، ولاتبغوا ديناً خلافه من اليهودية والنصرانية، والمجوسية وعبادة الأوثان، وغير ذلك من الملل، فإنها بدع وضلالات = ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ﴾.

يقول، فيشتت بكم إن اتبعتم السبل المحدثة التى ليست لله بسبل ولاطرق ولاأديان، إتباعكم إياها = (عن سبيله).

يعنى: عن طريقه ودينه الذى شرعه لكم وارتضاه، وهو الإسلام الذى وصى به الأنبياء: وأمر به الأمم قبلكم = ﴿ذَ ٰلِكُم وَصَّـٰكُم بِهِ﴾ يقول تعالى

(114) انظر تفسير الطبرى جـ12 ص299,288 نفس المصدر الذى ذكر فى البحث.

ذكره هو الذى وصاكم به ربكم من قوله لكم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُستَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَاتَتَّبِعُواْ السُّبُلَ﴾ وصاكم به ﴿لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ يقول لتتقوا الله فى أنفسكم فلا تهلكوها وتحذروا ربكم فيها فلاتسخطوه عليها، فيحل بكم نقمته وعذابه.

- فصل -

مفارقة الدين براءة من المبعوث رحمة للعالمين

سبب قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُم وَكَانُواْ شِيَعاً لَّستَ مِنهُم فِي شَيءٍ إِنَّمَآ أَمرُهُم إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفعَلُونَ ﴾
(الأنعام / 159)

عن أبى هريرة قال [115]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُم ﴾

قال: نزلت هذه الآية فى هذه الأمة [116]

عن أبى هريرة:
﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُم وَكَانُواْ شِيَعاً ﴾ قال: هم أهل الصلاة [117]

---

(115) انظر تفسير الطبرى ج12 ص270 المسمى بجامع البيان عن تأويل القرآن (*) دار المعارف بمصر.

(116) اسناده صحيح إلى أبى هريرة.

(117) كان فى المطبوعة: وهم أهل الصلاة غير أن المخطوطة واضحة هنا من أهل القبلة. هذا كلام الطبرى.

عن أبى هريرة قال:
قال رسول الله ﷺ فى هذه الآية.
وليسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات، وأهل الضلالة من هذه الأمة. (118)

عن عمرو بن قيس قال:
قالت أم سلمة: (119)
ليتق امرؤ أن لايكون من رسول الله ﷺ فى شىء!

ثم قرآت

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُم وَكَانُواْ شِيَعاً لَّستَ مِنهُم فِي شَيءٍ إِنَّمَآ أَمرُهُم إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفعَلُونَ ﴾
(الأنعام / 159)

أ.هـ

أقول:
إن كل هذا قد جاء من جراء أرباب العذر بالجهل فأصبحت الأمة شيعاً وأحزاباً. (120)

ولننظر فى قوله تعالى من سورة الآعراف الآية رقم 30.

---

(118) خرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ثم قال: «رواه الطبرانى فى الأوسط».

(119) انظر تفسير الطبرى جـ12 ص273.

(120) المراد اليوم واختلاف الجماعات التى على الساحة والاعتصام اليوم واجب وهو من أسباب النجاح وإقامة مكانة للحق.

- فصل -

أين العذر بالجهل

سبب قوله تعالى:

﴿ فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيهِمُ الضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُواْ الشَّيَٰطِينَ أَولِيَآءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحسَبُونَ أَنَّهُم مُّهتَدُونَ ﴾
(الأعراف/٣٠)

قال أبوجعفر [121]

يقول تعالى ذكره:

إن الفريق الذى حق عليهم الضلالة إنما ضلوا عن سبيل الله وجازوا عن قصد المحجة، باتخاذهم الشياطين نصراء من دون الله وظُهراء[122] جهلا منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك، بل فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم على هدى وحق وأن الصواب ما أتوه وركبوا.

وهذا من أبين الدلالة على خطأ قول من زعم أن الله لايعذب أحدا على معصية ارتكبها أو ضلالة اعتقدها، إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها فيرتكبها عنادً منه لربه فيها، لأن ذلك لو كان كذلك، لم يكن بين فريق الضلالة الذى ضل وهو يحسب أنه هاد وفريق الهدى فرق وقد فرق الله بين أسمائهما وأحكامهما فى هذه الآية.

أ.هـ

(121) انظر تفسير الطبرى جـ12 ص388.

(122) انظر تفسير وَلي فيما سلف من فهارس اللغة (وَلي).

أقول:

وقد انقسموا الكثير فى هذا المجال وتفرقوا بطباعة الكتب تحت مسميات مختلفة مثل العذر بالجهل وآخر يقول لاعذر بالجهل مع العلم أن هذا أمر محدث لم يتكلم فيه أحد إلا فى هذا العصر ووجد الشيطان فيه مرتعاً وذهب لكل منهم على حدى ليكفر الآخر وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصيرٌ بالعباد.

- فصل -

ماينبغى أن نكون عليه

سبب قوله تعالى:

﴿ قُل هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَم يَلِد وَلَم يُولَد * وَلَم يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾

(الاخلاص / 4:1)

قال قتادة والضحاك ومقاتل:

جاء ناس من اليهود إلى النبى ﷺ فقالوا:

صف لنا ربك، فإن الله أنزل نعته فى التوراة، فأخبرنا من أى شيء هو ومن أى جنس هو أذهب هو أم نحاس أم فضة وهل يأكل ويشرب وممن ورث الدنيا ومن يورثها فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السورة وهى نسبة الله خاصة.

عن أبى كعب:

أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ أنسب لنا ربك فأنزل الله تعالى السورة.

قال:

فالصمد الذى لم يلد ولم يولد لأنه ليس شىء يولد إلا سيموت وليس شىء يموت إلا سيورث وإن الله تعالى لايموت ولايورث ولم يكن له كفوا أحد قال:

لم يكن له شبيه، ولا عدل، وليس كمثله شىء، عن جابر قال:

قالوا يارسول الله انسب لنا ربك فنزلت السورة.

أ.هـ

أقول:

إنه الإخلاص فى سورة الإخلاص هل صمدنا إلى الله تعالى فى واقعنا، هل علمنا إن الله تعالى قادر على أن يعذبكم قادرا على أن يبدلكم، وما ذلك على الله بعزيز لو اعتقدتم هذا لأخلصتم فى العمل! لم تكن الكفائه بل ولم تكن الكفائه من أحد إلى الله عز وجل أكفروا بكل الأنداد، وكسروا كل الأنداد، وأفردوا الله سبحانه وتعالى واجعلوه واحدا فى كل أمر فى حياتكم، وكونوا أهلا للإخلاص.

- فصل -

المعوذتان

سبب قوله تعالى:

﴿ قُل أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّـٰثَـٰتِ فِى العُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

(الفلق / 1:5)

قوله تعالى:

﴿ قُل أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَٰهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الوَسوَاسِ الخَنَّاسِ * الَّذِى يُوَسوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾

(الناس / 1:6)

قال المفسرون:

كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فأتت إليه اليهود ولم يزالوا به حتى أخذ أحد مشاطة النبى ﷺ وعدة أسنان من مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذى تولى ذلك لبيد بن أعصم اليهودى ثم دسها فى بئر لبني زريق يقال لها ذروان فمرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه ويرى أنه يأتى نساءه ولايأتيهن، وجعل يدور ولايدرى ماعراه، فبينما هو نائم ذات يوم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذى عند رأسه.

مابال الرجل قال طب:

قال وماطب قال سُحرَ قال:

ومن سحره

قال: لبيد بن أعصم اليهودى قال وبما طبه قال: بمشط ومشاطة قال:

وأين هو قال:

فى جف طلعة تحت راعوفة حجر فى بئر ذروان، والجف قشر الطلع، والراعوفة حجر فى أسفل البئر يقوم عليه المائح، فانتبه رسول الله ﷺ فقال ياعائشة:

أما شعرت أن الله أخبرنى بدائى، ثم بعث علياً والزبير وعمار بن ياسر فترحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا هو مشاطة رأسه وأستان مشطه وإذا وتر معقد فيه أحد عشر عقدة مغروزة بالأبر فأنزل الله تعالى سورة المعوذتين.

فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله ﷺ خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول.

بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر كل حاسد وعين، الله يشفيك فقالوا:

يارسول الله، أو لانأخذ الخبيث فنقتله، قال:

أما أنا فقد شفانى الله، وأكره أن أثير على الناس شرا.

عن عائشة – رضى الله عنها – قالت:

سُحِرَ النبى ﷺ حتى أنه ليتخيل إليه أنه فعل الشىء ومافعل، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندى دعا الله ودعا، ثم قال:

أشعرت ياعائشة أن الله قد أفتانى فيما استفتيه فيه قلت وما ذاك يارسول الله، قال:

أتانى ملكان وذكر القصة بطولها.

رواه البخارى عن عبيد بن إسماعيل عن أبى أسامة ولهذا الحديث طريق فى الصحيحين.

أقول:

إن السحر والحسد كل منهما ثابت وواقع ولكن؟

فى واقعنا لايكون الإختلاف إلا على المعالج وبأى شى يعالج، خذوا من القرآن ماشئتم لما شئتم، لاتلتفتوا لسفيه منكر ولا لدجال متنكر. (123)

فالقرآن شفاء وهذا هدى نبيكم ﷺ وقد كثر فى واقعنا مرض السحر.

وكثر فى واقعنا الحسد، وخرجت المؤلفات الكثيرة والأسماء العديدة بأسماء الكتب المختلفة ومع ذلك.

لازال من يذكر هذا الأمر ينكره، وأنا ما أردت ذكره إلا لخير المسلمين وموعظة للمتقين.

لو كان المسلم متعوذا وأصابه سحر فليذكر قوله تعالى.

---

(123) راجع ابن كثير المجلد ص573:574.

﴿ وَاتَّبَعُواْ مَاتَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَاكَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَايَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة / 102)

فيقوم بين يدى الله ويسأل الله تعالى أن يرفع هذا عنه بإذنه كما أصابه بإذن الله.

وكذلك الحسد الذى يسبق القدر.

وقال صلى الله عليه وسلم:

[ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين]. (124)

فالحسد واقع ومن أنكره يكفر بجهل أو بعلم.

وقد وضحت ذلك فى بحث الجن المسمى سلسلة شفاء الرحمن. (125)

---

(124) [العين حق ولو كان شىء سابق القدر سبقته العين وإذا استُغسلتم فأغسلوا].
أخرجه مسلم جـ7 ص14,13.

(125) للباحث تحت الطبع.

رجاء ودعاء

أحمدك وحدك يامن لايحمد سواك لاشريك لك ولا إله غيرك حكمت فعدلت أمسكت أم أعطيت كل قضائك خير فلك الحمد من قبل ومن بعد لانحصى ثناءً عليك كما سبحانك على نفسك أثنيت أشهد أن لا إله إلا أنت.

وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك لانبى بعده عبدك فأفرادك ﷺ يامن منك الرجاء وإليك المنتهى لك عظيم شكرى مع عجزى وفقرى اجعل اللهم هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم لامجزى ولامثيب غيرك اللهم تقبل عملى كله وأدخلنى فى رحمتك أنا والمسلمين «آمين».

اللهم تقبل عملى هذا وانفع به واجعله ذاخرا فى الدنيا والآخرة «آمين».

اللهم أعن كل من قرأ هذا الكتاب واجعل فهمه له مستقيما لا اعوجاج فيه وأرزقه العمل به «آمين».

اللهم إنى أشكرك وأشهدك على شكرى للأمين محمد ﷺ كما أشكر الأمين جبريل وكل من عبدك وحدك وساعد عبدك فى هذا العمل كاتباً أو ناشراً أو أى كان سعيه سبحان رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أهم المراجع

اسم المرجع	اسم المؤلف
1- كتاب الله	كلام الله عز وجل
2- تفسير القرآن العظيم	للإمام بن كثير
3- جامع البيان عن تأويل أى القرآن	ابن جرير الطبرى - دار المعارف
4- أسباب النزول	هبة ابن سلامة أبى النصر
5- فى ظلال القرآن	سيد قطب
6- السلسلة الصحيحة	الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى
7- مباحث فى علوم القرآن	لمناع خليل القطان
8- الأحاديث القدسية	مكتبة الدعوة الإسلامية
9- البخارى	للإمام البخارى
10- مسلم	للإمام مسلم
11- لسان العرب	ابن منظور
12- ابن ماجه	تصحيح محمد بن عبدالباقى
13- اقتضاء الصراط المستقيم	لابن تيمية
14- فتح المجيد	تحقيق محمد حامد الفقى
15- مجموعة التوحيد	لابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب
16- الموطأ	للإمام مالك بن أنس
17- رياض الصالحين	للإمام النورى
18- إتحاف الجماعة	للتويجرى جـ٢
19- السيرة النبوية	لابن هشام
20- الموالاة والمعاداة	حماس بن عبدالله الجلود
21- فتاوى ابن تيمية جـ٢	لابن تيمية

22- كتاب الأذكار المسمى بالصحيح المسند مصطفى بن العدوى أحمد.

الرسول الكريم يشيه الخليل إبراهيم فى نهيه عن الإستغفار للمشركين(126)

قصة حاطب وسارة المغنية ونجاته من النفاق، ذم الفُرقة.
الاخلاص.
الحسد حقيقة لاخرافة.
البناء قديما وحديثا واختيار الزوجة مهم.
حكاية للكبار والصغار عن الإيثار.
اللحوم المستوردة.
كيف يكون الدعاء مستجاب.
كل ميسر لما خلق له.
وصايا من الله.
البيان فى حقيقة رقية القرآن.
حوار دار مع الرب والشهيد فى دار القرار.
أبوبكر السخى وصاحب النخلة بعيد عن هدى النبى.
عين الله لاتنام.
النساء المجاهدات.
توبة تاجر الخمور وحبه لدين الرسول.
لاحول ولاقوة الا بالله وقصة الغلام.
ماشاء الله وفضلها من أشراط وعلامات الساعة.
أمثال فى عصرنا.
عرض الإسلام لأبى طالب.
موقف الخليل إبراهيم من آزار.
اسلام عمر بن الخطاب.
إسلام هند وحوار مع الرسول وضحك عمر.
دموع القساوسة.
اختلاف اليهود والنصارى على إبراهيم.
حكاية عن البخل.

فائدة أحكام الله.
قصة وعبرة وحجاب العفيفة.
الأغانى المحرمة.
ابتلاء المسلم بالكافر.
قصة حفصة - رضى الله عنها - مع العسل وحكاية أحلى من العسل.
الكفار يحسدون المسلمين على إسلامهم.
ضريبة الايمان.
قصة أل ياسر.
مه ياعائشة.
جهاد النفس.
الغرباء بسبب الولاء.
قصة إسلام سعد مع أمه.
قصة أبى بكر وأبى قحافة.
حكايات عن أعداء الرسول.
عفو عمر.
توبة هذه الأمة وتوبة بنى اسرائيل.
حذار الفتنة.
حكاية أسامة والمقداد وقتلهم الرجل الذى قال لا إله إلا الله.
سحر النبى وهل سُحر أم لا؟
حكايات العُذر وعدم العُذر "الجهل".
نواقص المكيال حرام أم حلال.
حكايات عن الذين قتلوا أخوانهم وأهليهم.
فقه المطلقة.
حكاية عن الفاروق.
رحمة الرسول بقاتل عمه حمزة.
عائشة الصديقة المفترة عليها.

(126) [جاءنى جبريل فقال فتبرأ أنت من أمك كما تبرأ إبراهيم من أبيه... الخ] جـ2 ص393 أخر سطر كتاب بن كثير.

الفهرس

للمؤلف

1 - صيام البشر فى القرن الخامس عشر (هـ)
(حوار دار عن الصوم والإفطار) تحت الطبع

2 - أحوال الجان مع البشر فى القرن الخامس عشر (هـ)
(شفاء الرحمن) تحت الطبع

3 - طاغوت البشر فى القرن الخامس عشر (هـ)
(جريان الإيمان بعد هجر الطغيان) مخطوطة

4 - عودوا يا أصحاب القرن الخامس عشر (هـ) لإله البشر
(من الإله) مخطوطة

5 - مفهوم العبادة للبشر فى القرن الخامس عشر (هـ)
(معنى العبادة) مخطوطة

6 - انتظار المهدى المنتظر فى القرن الخامس عشر (هـ)
(البحث عن الطائفة المنصورة) مخطوطة

7 - مناهج التعليم وأحوال البشر فى القرن الخامس عشر (هـ)
(تبصير الدارس بأحوال المدارس) مخطوطة

8 - فهم العدة للبشر فى القرن الخامس عشر (هـ)
(العدة وما يجب على المعتدة) مخطوطة

9 - سلسلة معرفة القرآن للبشر فى القرن الخامس عشر (هـ)
- القرآن حسب تنزيل الوحى.
- القرآن ناسخه ومنسوخه.
- القرآن منطوقه ومفهومه.
- من هو القرآن؟